ليلة الختم

٢٠١٢

محمد سيد رشوان

ليلةالدخلة

محمد سيد رشوان

بـرعـاية مجلـة / دقة جديـدة
www.daqahgadidah.com

إلى الرجل الذى لا تستحقه الألقاب ..

ماكنت أبغى وضع أسمك بين جنبات ماقد لا يليق باسمك ومكانتك كنجم زاهر فى سماء الأدب

ولكننى ربما أردت أن تضم الصفحات شئ قيـــّمةً فتسمو باسمك وتعلو بمكانتك

أهدى إليك ماكتبت وما أكتب وما سأكتب

إلى إمام الأدباء / محفوظ

إشراف عام وإخراج

عمـــرو ســـلـــيمـــان

المراجعة اللغوية

يمـنى عبـد الكـريـم

الغلاف والرسوم الداخلية

مـــــى مـــجـــدى

شكر خاص
للمبدعة الصديقة

فهيمة محمود

ليلة الدخلة

(1)

أدخلها إلى الشقة قائلاً : اتفضلى .

دلفت في هدوء يغلفه الخجل دون أن تحرك شفتاها، ثم وقفت حائرة لاتدرى ماذا تفعل في هذا الموقف ؛ قال مداعباً:

ـ مالك واقفة ليه كدا زي ماتكوني داخلة قسم؟

رفعت عينيها في خجل و لم تبتسم لدعابته، فقال مستدركاً: أنا قصدي تقعدي بدل مانتي واقفة يعني ..!!

نظرت له نفس النظرة السابقة الخالية من أي تعبير اللهم إلا الخجل..

تحولت لهجته للجدية وهو يقول: واضح إنك لسه محرجة مني، طيب أنا هدخل آخد دش وأغير هدومي تكوني انتي أخدتي عـــ المكان.. بصي اعتبري البيت بيتك..

واعتبري ليه؟ هو بيتك فعلاً.

لا تعقيب إلا الخجل، فتمتم وهو يتجه للحمّام: واضح إن الموضوع صعب.. صعب جداً..!!

بعد دقائق خرج ليجدها على ماتركها.. نفس وقفتها فى نفس المكان..

فقال محبطاً: انتي لسه واقفة عندك؟

أيضاً لم ترد.. !!

أكمل: مش تدخلي تغيري هدومك كدا وتشوفي المكان تعملي أي منظر؟

لا إجابة تذكر..

تنهد في ضيق قائلاً لنفسه بصوت مسموع: أنا ضحكوا عليا وجوزوني واحدة خرسة ولا إيه.؟

ثم بالقليل من الحدة: يابنتي أنا مش بكلمك؟ مش تردي عليا؟

ثم اقترب منها وأمسكها من أناملها بلطف قائلاً بهدوء: طب مش يلا؟

انفرجت شفتاها لأول مرة منذ أن دخلت قائلة وهي تسحب أناملها من يده وهي تقول في رعب: يلا إيه؟

لاحظ عدم رغبتها في لمسها ولكن تجاهله.. وقال في عناد: إيه هو اللي يلا إيه؟ يلا غيري هدومك عشان ندخل.

فقالت مأخوذة: ندخل؟، ندخل فين؟!

فقال في سخرية: هو إيه اللي ندخل فين ؟ ندخل يعني ندخل، النهاردة عقبال عندك ليلة دخلتنا.!

صاحت بسرعة: لا مش هينفع، مش هينفع خالص !

قال بحدة ممزوجة بسخرية: هو إيه اللي مش هينفع خالص؟ انتي بتهزري ولا بتتكلمي جد؟!

فقالت متوسلة: أرجوك عشان خاطري بلاش .

فقال بنفس اللهجة السابقة: يعني إيه بلاش؟ يعني لما ييجي حد يسألني عملت إيه أقوله معلش عشان العروسة قالتلي بلاش مش هينفع؟

قالت وقد انهمرت دموع عينيها: أرجوك بلاش عشان خاطري، على الأقل دلوقتي. أبوس إيدك.

أشفق عليها وقال في عطف: طب خلاص بلاش، بس اهدي لو سمحتي.

والله ماهقرب منك إلا لو انتي حبيتي.. اهدي بس عشان خاطري...

بدأت في الهدوء شيئاً فشيئاً.. التزم الصمت للحظات قبل أن يقترب قليلاً ببطء قائلاً: ممكن تهدي خالص وتقعدي نتكلم شوية؟ عشان خاطري أنا المرة دي.

استجابت لطلبه في صمت وجلست ، فتأملها قليلاً ثم قال في هدوء: هو انتي في حد أجبرك عليا؟

لم ترد وعادت لنظرتها السابقة ذات الخجل.

أكمل قائلاً: أنا عارف إنك زي أي بنت كنتي تتمني تعيشي قصة حب قبل الجواز، وإني في نظرك زي مابتقولوا عليه "عريس صالونات"، بس انتي كان ممكن ترفضيني لو مكنتيش عايزاني.

نظرت إليه نظرة جديدة هذه المرة وعيناها تقول "ماكنتش قادرة على الرفض"..
فهِم هو ذلك منها قائلاً: واضح إنك خجولة زيادة عن اللزوم، بس انتي لما وافقتي عليا أو لما أهلك ردوا عليا بالموافقة أنا افتكرت إن في قبول حصل من ناحيتك ليا؛ ماكنتش أعرف انك مش قادرة ترفضي، وواضح كمان انهم لما سألوكي حسيتي بحرج إنك تقولي إنك مش موافقة فسكتي، وهما أكيد فسروا السكوت دا بالموافقة على أساس إن (السكوت علامة الرضا)، بس يظهر إنه مش في كل الحالات.
رفعت رأسها إليه بعد انخفاض طيلة حديثه وشبح ابتسامة باهتة واستحسان لكلماته ودهشة من سرعة فهمه لها.
بادرها قائلاً: بس واضح إن الكلام دا جه متأخر لأن خلاص احنا بقينا قدر بعض، أنا بقيت جوزك وانتي بقيتي مراتي.. وبالمناسبة مش هينفع أطلقك خالص دلوقتي لأن الناس لما يعرفوا إن في عروسة اتطلقت ليلة دخلتها هيطلعوا إشاعات وهيقولوا كلام مش عايز أقوله قدامك.
نظرت إليه هذه المرة في حيرة حقيقية.. وعينيها مليئة بالتساؤلات..
"عموماً انا مش هجبرك على حاجة" محاولة منه لتذييل الحديث بكلمات رقيقة وانهائه بلطف.
_ أنا داخل أنام..!!
محاولة أخرى يضمها للسابقة يستخدم به أسلوب الترغيب والترهيب.
ثم نظر لها نظرة أخيرة غامضة وتركها في هدوء

(2)

دخل إلى الحجرة في حين جلست هي وحدها، وعقلها يكاد ينفجر فما لمسته من نبل ورجولة وعطف في هذا الرجل لا يتماشى بالطريقة التي تعامله بها كأنه يأخذها أسيرة أو جارية ..

بل على العكس تعامل معها بلطف ورجولة وحب لم تكن تتوقعه..

إذاً ماذا تفعل؟... هل تتعايش مع وضعها الجديد وتقبل بهذا الشخص وربما منحها من الحب والحنان والرومانسية ماكانت تحلم به؟، أم تكمل في موقفها منه؟، وتعامله بنفس الطريقة؟، ولكن ماذا جناه هو؟، هو ليس له أي ذنب

لقد تقدم لعائلتها –وقد كان زميل شقيقها– وكان من جيرانهم.

بصراحة أدب وأخلاق هذا الشاب، وكونه ميسور الحال يجبرا أي اسرة على الموافقة خاصة وأنه ينتمي لأسرة كريمة، وطبعاً كونه من جيرانهم فهم يعرفونه جيداً..

أما هي ..

فلم تحاول يوماً ان تعرف أحد أو تتعرف على أحد؛ كانت شديدة الخجل أمام أقرب الأقرباء لها، حتى عندما كان يزورها أحد أبناء عماتها أو خالاتها، كانت حتى تخجل أن تصافحه، كانت شديدة الخجل والحياء أمام كل الناس

شديدة الجرأة والإنطلاق أمام نفسها في أحلامها..

كانت تعيش في تلك الأحلام أجمل قصة حب مع حبيبها الذي خلق خصيصاً لها ولإسعادها، ولمنحها الحب والحنان وأن تصبح بين أحضانه ملكة متوجة على عرشها، لكن لم تكن تفصح عما في قلبها لأحد، حتى زملائها في المدرسة، اللائي كن– شأنهن في ذلك شأن معظم المراهقات في هذي السن– كثيرات الحديث عن الحب والرومانسية والعواطف وما إلى ذلك.. أما هي فقد كانت تتحاشى الكلام معهن في هذه الأشياء أو حتى الإستماع لهن.. خاصة إذا تجاوزت إحداهن الحديث عن الحب وعرجت بالحديث عن الجنس وانخرطن معها بعض الطالبات في الحديث عن تلك التلميحات..

كانت تبتعد عنهن فوراً وتنعتهن بأنهن يعانون نقصاً في التربية ويفتقرون إلى الحياء

الذي لابد أن يكون موجوداً ـ خاصة في تلك الفترة ـ في الفتاة..
و لم يكن لها ملاذ إلا صديقتها ورفيقة عمرها "سلمى"
كانت "سلمى" بالنسبة لها هي المهرب الوحيد الذي تلجأ إليه لتلقي على مسامعها شيئاً مما يجول في قلبها..
ومما تحمله في خاطرها باستمرار..
كانت سلمى لها نعم الصديقة والخزانة الآمنة للأسرار
لم تفش سر الفتاة الخجول لأحد.. حتى عندما ارتدن الجامعة، لم تعرف أحد و لم تتعرف على أحد و لم يكن لها أصدقاء إلا سلمى..
كانت تتحاشى نظرات الشباب لها، عندما يقترب أحد منها كانت تسرع مبتعدة؛ كتلك المرة التي اقترب منها شاب عادى قائلاً: لو سمحتي يا آنسة، انتي الظاهر بتحضرى كل يوم.. ممكن اسألك سؤال؟، فأجابت مرتبكة: لا مش ممكن.
و لم تنتظر أن يقول شيئاً وأسرعت مبتعدة في الحال .
كانت دائماً سلمى تنهرها بسبب حيائها الزائد هذا، وعدم السماح لأحد بالاقتراب منها .. كانت توبخها قائلة لها كيف ستتعرفين على فارس أحلامك وأنت تحيطين نفسك بكل تلك التحفظات.. ولا تسمحين لأحد بالاقتراب منك.
كانت ترد عليها قائلة بأنها لاترى أبدا فارس أحلامها طالب من طلاب الجامعة، كانت تتخيله بطلاً من أبطال الأساطير.. أو فارس من فرسان العصور القديمة سيأتي في زيارة قصيرة جداً للعصر الحالى وما أن يراها حتى يختطفها على حصانه الأبيض الشجاع ويطير بها نحو الأساطير لتصبح قصتهما تحكى كقصة من قصص الحب الفضية..
ولكن سلمى توقظها من أحلامها على أنه لايوجد فرسان في الواقع، وكانت تتهكم قائلة بأنه لايمكن استيراد فارس من الماضى ولايمكن اختراع فارس آلي في الحاضر..
وكانت ترد في إصرار وعناد بأنها لاتريد فارس بحصان على قدر ماتريد فارس إنسان يغرقها حباً وحناناً.. يتعرف نقاط ضعفها ويتجنب ملامستها.. يشعرها بالأمان طالما هي بين أحضانه..

تريد شخصاً يمنحها الدفء لا الجفاء والقسوة؛ تسلم له نفسها وهي مطمئنة أنه سيحافظ عليها كأغلى قطعة من الماس الثمين.

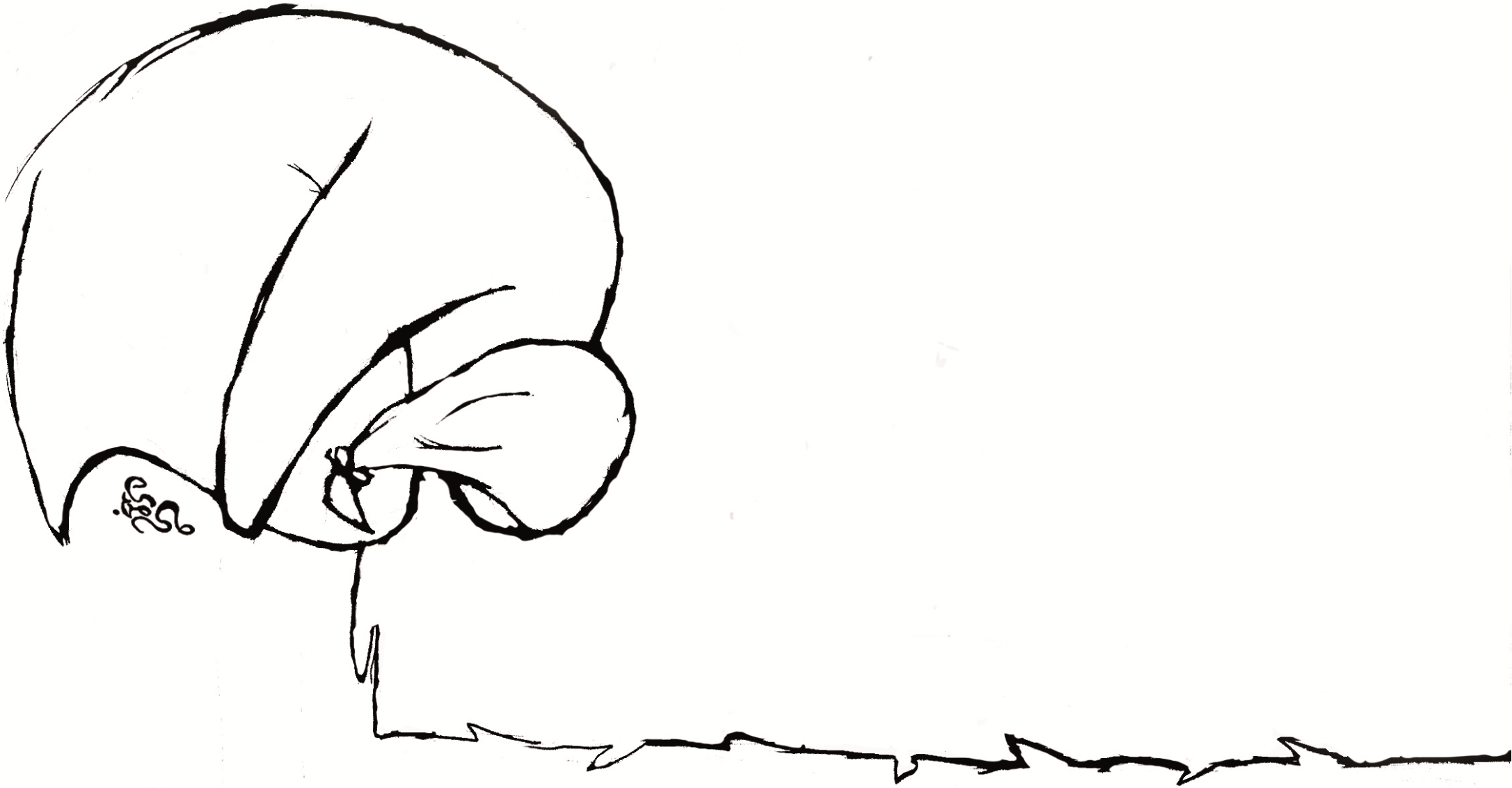

(3)

كانت توقن أنه سيأتي..... انتظرته كثيراً، ربما أكثر مما ينبغي.. لم تيأس الانتظار ، وكانت سلمى ترى حالتها تلك فتحتضنها في عطف وإشفاق..

ظلت هكذا حتى تخرجت من الجامعة ..

قلت اللقاءات بينها وبين "سلمى" لإنشغال الأخيرة بالدراسات العليا.. فازدادت حزناً وعزلة على حزنها وعزلتها.. ثم تحولت العزلة فيما بعد إلى اكتئاب مزمن..

كان مترلهم يضج بضوضاء اشقائها وشقيقاتها الخمسة.

لذا..

لم ينتبه أحد إلى عزلتها.. ظنوها هادئة بطبعها..

والدتها امرأة بسيطة من تلك التي تعطي كل وقتها لمترلها.. قليلاً ماتجلس مع أبنائها يتسامرون..

وأشقائها البنين خارج المترل أغلب الوقت للدراسة أو مع أصدقائهم أو في غرفهم معنيين بشئونهم..

اختها "ياسمين" الكبرى، تكبرها بـــخمس سنوات، تخرجت من كلية الصيدلة، ثم عملت مباشرة في صيدلية تقضي فيها النهار بأكمله ثم تزوجت من مهندس مدني يناسبها لأنه يعمل أيضاً طيلة النهار وربما جزء من المساء، يقيمان في شقة كبيرة لم يكتشفا الكثيرمن أركانها بعد؛ يجمعهما سرير واحد ليلاً يذكران تفاصيل البنك الذي يودعان فيه أموالهما أكثر من تفاصيله..

"ياسمين" لم تكن شقيقة، بل مجرد مقيمة معها فى المترل تذاكر فقط وتسألها كيف أحوال المذاكرة والجامعة فقط...

ثم يلي ياسمين من حيث الترتيب "زياد" كان أقرب شخص لها، مجتهد وحنون، أكثر من كانت تتحدث معه على الرغم من قلة كلماتها..

زياد تخرج من كلية "التجارة" لديه مشروع حلم لشركة استثمارية مع أصدقائه وحتى يستطيع تحقيقه فإنه قرر العمل في كل شئ ..!!

خارج المترل أغلب الأوقات، وتدعو له والدته بالتوفيق..!!

وبعد زياد بعامين تأتى هي..... "مـــريـــَم"

تخرجت من كلية الآداب و.... ولا شئ آخر..
يليها محمود في السنة الثالثة من كلية العلوم، ثم التوأم "شادى"، و" شريف" في الثانوية العامة.. شديدي الارتباط ببعضهما، معاً أغلب الوقت، ثم في الأخير "ســـــارة" آخر حبات عنقود الأسرة، أقرب الأبناء لأمها .. ودائما تساعدها في أعمال المترل، ووالدها موظف حكومي من الطراز النموذجي الموجود في المصالح الحكومية يأتي من عمله لينام قليلاً ثم يجلس مع أصدقائه على المقهى ويعود بعد صلاة المغرب، ثم لايلبث إلا أن يذهب لصلاة العشاء، يأتي لتناول العشاء ثم يشرب الشاي ويجلس مع أم الأبناء يتبادلان الأحاديث الودية.. ثم يأوي لفراشه..
هي.. لم يكن لديها الكثير من النشاطات والإهتمامات باستثناء متابعة بعض سلاسل القصص العاطفية الشهرية وكانت تخرج فقط للشرفة تتنسم الهواء على الرغم من تلوثه والضوضاء..
كان يقطن أمامها "أحمد" – زوجها الحالي- زميل شقيقها في المرحلة الثانوية مهندس برمجيات مهذب وعلى خلق.. وسيم وأنيق وميسور الحال، تقدم لخطبتها ففرحوا جداً ثم سألوها عن رأيها فصمتت.. ظنوه خجلاً من أن تصرح بالموافقة.. فردوا بالقبول، تمت الخطبة وهي لازالت صامتة، كان يزورهم قليلاً فكانت تجلس معه في حضور أسرتها صامتة ايضاً مطرقة، وأيضاً فـــُســـرّ على أنه خجل..
ثم أتت ليلة الزفاف.. وحدث ماحدث، ولأول مرة تفصح عما في قلبها.. لم تتخيل أبداً أن تتم بتلك التقليدية..
أحلامها كان بها أساطير كثيرة، ليلة لن تنسى من ليالي ألف ليلة وليلة، ولكن.. ليت كل الأشياء تتم كما في أحلام الفتيات..
ثم.. توقف عقلها عن التفكيروغلبها النوم، فنامت..

* * * *

تقف بمفردها في ضباب وظلمة، الرؤيا غير واضحة، والناس أشباح باهتة كل امئ *في كوكب بللوري شفاف خاص به، والأشجارعالية ثلجية تميل إلى الزرقة.. وهى لوحدها، خائفة من اللاشئ.. والصمت سيد الموقف* **اللهم إلا احتكاك الفراغ**

ببعضه.. حائرة ومرتبكة شاردة كعادتها...

ثم..

صوت لركض حصان يشق الصمت الثقيل، يسكن فجأة صوت الركض، شخص غير واضح الملامح يزيح الضباب بيده، .. ويظهر هو فجأة من وسط الضباب، يتشح بالبياض الناصع، وجهه منير كالبدر، عيناه يملؤها البريق، وشعره أسود لامع، يراها أمامه، فيبتسم ابتسامة حنان.. ما أجملها.. يتقدم نحوها وهي مأخَوذة.. يلمس يديها في حنان، تذوب من لمسته.. ولكنها تبتعد فجأة، تتسع عيناه دهشة.. يقترب منها خطوة، فتبتعد خطوات.. يقترب، فتزيد ابتعاداً مرددة "لا.. لا".. توليه ظهرها وتركض في غابة رمادية طويلة الأشجار، وقد غاب عن عينيها بعد أن كانت تراه ينظر إليها.. صوته الملائكي الممتزج بالعظمة آتياً من بعيد ينادي

"مـــَـــريـــــم... مـــــَـــريـــــم"

ظل ينادي حتى تشوشت الرؤيا، وأظلمت تماماً..

بينما لازال ينادي عليها وقد تخلى الصوت عن ملائكيته وبدا قريباً كأنه ينادي في أذنها..

"مريم .. مريم"...

(4)

فتحت عينيها، وجدته أمامها بملامحه الهادئة، لقد كانت تـــَحلـــُم إذاً..!!
تأوهت في كسل قائلة "أنا فين؟!"...
قال في هدوء وقد كان قريباً منها: انتي نايمة هنا من امبارح؟!!!
لاحظ أنه قريب جداً .. فابتعد، ثم قال: يلا اصحي الناس جايين يباركولنا دلوقت..!!
- يباركولنا ؟!!!
- أيوا على أساس إن امبارح كانت دخلتنا، فهيباركولنا على عشنا السعيد وزواجنا المبارك.
- نعم ؟!!
ضحك ضحكة قصيرة ثم قال: بهزر. إيه؟.. هو الهزار ممنوع؟، يلا قومي غيري هدومك كدا وافردي وشك عشان منظرك قدام الناس.
ظلت شاردة لاتجيب ، تركها واتجه للداخل فلم توله اهتماماً ثم خرج بعد دقائق..
فوجدها لازالت جالسة بفستان الزفاف لم تتحرك فقال في هدوء:
- على فكرة عادي جداً، لو عايزاني أحكي للناس إيه اللي حصل امبارح أقول عادي، بس وقتها مش عارف هما هيفسروها ازاي؟؛
نظرت له نظرة تدل على الانزعاج وتبدلت ملامحها فهز كتفيه في بساطة، وأمسك بفرشاة الشعر الملقاة بإهمال على منضدة.. وقام بتصفيف شعره باهتمام، ثم نظر نحوها قائلاً: "إيه رأيك؟ شكلي كدا كويس؟"
لم تجب أيضاً وأعرضت بوجهها بعيداً..
قال وقد بدا الضيق يتسلل إليه:ـ طب على الأقل غيري الفستان طيب؛ قومي من المكان اللي قاعدة فيه من امبارح، مَشْي رجليكي شوية.
الصمت التام ردها..
" طيب، أنا هدخل شوية أدورعلى حاجة أعملها، من مصلحتك انتي على فكرة

تعملي اللي بقولك عليه "

ثم لم ينتظر إجابة وتركها ودخل الحجرة وأمسك بحاسوبه واطمأن على اتصاله بالإنترنت، وفتح حسابه على موقع التواصل الاجتماعى، وقام بالرد بالامتنان على كل التهاني التي أرسلها له أصدقاؤه وتبادل الدعابات مع المقربين منهم.. طمأنهم عليه بأنه "مـــ الآخر، وجامد جداً"

ثم استأذنهم متحججاً بالشوق لعروسه، في نفس اللحظة التي رن فيها هاتفه من بعض الأصدقاء والأقارب يعلمونه بمجيئهم لتهنئته..

ارتمى على السرير في كسل ونظر إلى السقف متنهداً

ثم بنشاط غير عادي قفز قفزة سريعة وخرج من الحجرة ويكاد اليقين يملؤه أنه سيجدها في مكانها، ولكن خاب ظنه عندما وجد مكانها خالياً وصوت انسياب المياه يأتي من الحمام..

ابتسم في هدوء وجلس على الأريكة وتناول الريموت كنترول وفتح التلفزيون وتنقل بسرعة بين القنوات دون تركيز..

وإذا بها تخرج من الحمام وقطرات المياة تتزلق على وجنتيها وتلمع فوق جبينها، مرتدية رداء الاستحمام وتلف شعرها بالمنشفة، وقد أزيلت عنها مساحيق التجميل بفعل الماء..

وقف أمامها مندهشاً فلم تلبث إلاّ أن كشفت عن شعرها وفردته في انسيابية ثم تركته مسدلاً

كانت تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها شعرها على طبيعته..

فقال لها مبتسماً: عارفة إن شكلك أجمل من غير مكياج؟

أومأت برأسها وشبح ابتسامة يقفزعلى شفتيها..

طمع في المزيد وقال ببالغ الرقة: زي القمر.

أشاحت بوجهها وباغتتها ابتسامة دون أن تشعر.. لم يرها هو ولكن كان على يقين منها، لاريب من إحساس كلاهما باللذة..

هو لأن كلماته لمست خلايا أنوثتها، وهى لأن رجل يتغزل في جمالها، ثم لم يلبثا

واقفين في تلك اللحظة الخالية من مرور الزمن حتى دق جرس الباب..

* * * *

(5)

"دى لازم ماما.."

نطقتها بتلقائية في حين اتجه لفتح الباب وقابلته أمها بزغاريدها قائلة: ألف مبروك يا باشمهندس، وتدخل ومن وراءها شريف وشادى..

شريف: أحط الحاجات دي فين؟

أحمد: دخلها هنا، والله ماكان له لازمة التعب.

قالت أمها وهي تجلس: تعب إيه بس، دي حاجات بسيطة؟

ثم تساءلت: أمال فين عروستنا الحلوة؟

جوة وزمانها جاية، أصلنا لسه صاحيين!!

في حين تدخل هي في هدوء وعينيها في الأرض خجلاً، تقبلها أمها مهنئة.

ـ والنبي البيت ماكان له لازمة من غيرك امبارح.

تتجاهل كلمات أمها قائلة: هو بابا فين ياماما؟

ـجاى مع زياد ومحمود ورانا ..

ـوياسمين؟

ـياسمين مش هتقدر تيجي، أصلها بتجهز في صيدليتها اللي هتفتحها.

إيماءة منها دون تعبير على ملامحها

في حين يدق الجرس مرة أخرى، ليفتحه فيجده والدها وشقيقيها زياد ومحمود..

يصافحهم في حرارة مرحباً

ثم ما أن يجلسوا حتى يقدم لهم علبة الحلوى، ثم موجهاً كلماته لمريم:ـ قومي يامريم، هاتي العصير اللي انتي عملاه.. قالت مدهوشة: عصير؟؟

ـأيوا العصير اللي عملتيه أول ماصحيتي عشان يبقى جاهز.

اندهشت مما يقول وسكتت حتى قال أبوها:ـ ماتسمعى كلام جوزك يابنتي وتقومي..!

ـهاه؟ حاضر هاقوم..

وبنفس الدهشة قامت وتوجهت للمطبخ وفتحت الثلاجة فازدادت دهشتها، لقد

وجدت عصير بالفعل جاهز في الثلاجة، فتناولته وأخذت الأكواب وقدمته لهم، تناول هو كوبه ورشف أول رشفة قائلاً:_ العصيرهايل يامريم، تسلم إيديكي، أومأت برأسها شاكرة..

فقال لها والدها:_ فعلاً العصير جميل، أومال ماكنتيش بتعمليه ليه عندنا دا؟، فأطرقت خجلاً.

قالت أمها ضاحكة :_ خلاص متكسفهاش يابو زياد،

ضحك الجميع ثم جلسوا قليلاً وقاموا فقال هو لهم:_ طب ماخليكم قاعدين اتعشوا معانا ياجماعة وناخد السهرة، قالت أمها:_ لا يابني سهرة إيه؟، دا عمك أبو زياد عنده شغل الصبح والعيال عندهم كليات ومدارس.

ثم قالت خافضة من صوتها:

_خللي بالك منها يابني، مريم هادية وعاقلة، هي يمكن خجولة شوية وبتتكسف، بس طيبة ومش هتلاقي زي قلبها.

_بتوصيني على ايه بس ياطنط؟، مريم دي في عينيا.

_ربنا يكرمك يابني.

ثم قالت وهي تتجه للخارج:_ يلا مع السلامة.

وصافحهم جميعاً.

وأغلق الباب..

جلست في هدوء على أقرب مقعد، فوقف هو مستنداً إلى إحدى الجدران ناظراً إليها والتفتت إليه قائلة: هو احنا في وقت إيه دلوقت؟

قال:_ احنا بعد العصر.. أنا صحيت على قبل الضهر لقيتك نايمة مرضيتش أصحيكي، يظهر إنك سهرتي كتير امبارح.

أومأت برأسها إيجاباً، فأضاف: تقريباً، لحد طلوع النهار..

أومأت برأسها كعادتها دون أن تتكلم وطال بينهما صمت ثقيلاً شعرفيه أنها تريد أن تقول شيئاً...

فقالت :_ هو انت اللي عملت العصير؟

قال مبتسما :_ أيوا أنا..

سكتت وعينيها للأسفل ثم قالت دون أن تنظر إليه: طب ميرسي.

فتمادى في ابتسامته قائلاً: ميرسي على ايه؟

فنظرت له بنظرتها الغاضبة التي يعشقها، و لم تتكلم.

قال وكأنه فعلاً لايعرف :_ لا بجد شكراً على إيه؟

_على إنك عملته، وكمان .....

_وكمان إيه؟

_على إنك قلت إني أنا اللي عملاه.. بجد متشكرة.

_أعتقد إن مفيش داعي للشكر يعني، متهيألي إن احنا واحد ومفيش بيننا الكلام دا.

فأطرقت خوفاً من أن تباغتها الإبتسامة ويراها.

فقال في خبث :_ ولا انتي عندك رأي تاني؟!

قالت مغيرة محور الحديث :_ هو في حد تاني جاي يباركلنا..؟

قال فى بساطة :- أصحابي واحتمال أهلي. أومأت أيضاً كعادتها.

ثم قال هو: بس أنا مش عايزك تسهري تاني كدا، ده غلط على صحتك..

لم تعلق على ماقال، فقال هو: هو انتي سهرتي دا كله ليه؟، كنتي بتفكري؟

ردت هي مستنكرة: أفكر؟!!

هم بقول شئ ولكن جرس الباب قد رن..

دخلت الحجرة في هدوء، في حين فتح الباب وتبادل الدعابات مع أصدقائه التي لم تخلو من التلميحات

وما أن جلسوا وقدم لهم الحلوى، حتى قالوا: إيه ياعم؟ هي العروسة منفضالنا ليه كدا؟

فقال مداعباً: أميرة ياعم، ملكة متوجة. هتقابل الرعاع أمثالكم.

قال أحدهم: يا أخي دا حتى الأميرة بتطلع على الرعاع في المناسبات، خليها تلقى نظرة على الشعب الغلبان..

ضحك بعصبية واضحة.. ثم قال وداخله حيرة ولا يدرى ماذا يفعل، ثم قال: زمانها جاية، ربع ساعة بالكتير.

فقال أحدهم: براحتها ياعم، ملكة وليها الحق تعمل اللي هي عايزاه، وهموا

بالضحك.

فوجئوا بدخولها عليهم تمسك صينية العصير الطازج وتتهادى في ثوب مترلي أسود لامع فضفاض..

يظهر ذراعها الشاهق من تحت الثوب جميلاً فاتناً..

يأخذ العصير منها وتجلس بجواره في خجل، في حين يهنئونها وترد عليهم بالإيماءات وهمس "ميرسي"

ثم استأذنتهم ودخلت وتابعوها جميعهم بعيونهم، قال لهم: إيه ياعم انت وهو، ماتخليكم معايا هنا.

قال أحدهم: ليك ياحق ياعم والله تحجبها عننا دا كله، دي من الآخر...

وقال آخر: مالهاش اخوات دى ياهندسة ولا إيه؟

ضحك بثقة قائلاً: لا لا دي مش بشر أساساً.. دى حاجة من السما كدا زي الملايكة متلاقيش منها تاني.

ـــبس دي من الآخر ياعم، هو في كدا أساساً؟

ـــماتلموا نفسكم ياجدعان؟ لاحظوا إني موجود يعني، وبعدين يعني كفاية كدا عشان بس العروسة وحشتني..!

ـــوحشتك الـــ5 دقايق دول؟

ـــأيوا ياعم، بتوحشني وهي معايا أساساً، أصل ماشفتش في رقتها؛ يلا انتو دلوقتي ولاحظوا إني بطردكم.

ـــماشي ياعم .. ماشي، الله يسهله.

وهو يقودهم إلى الباب: متخلوناش نشوفكم كتير، ماتجوش تاني يعني.

ثم أغلق الباب ودخل إلى الحجرة فوجدها جالسة في صمت.

ـــعلى فكرة شكراً..!!

ـــالعفو.

ـــمكنتش متوقع إنك هتيجي تقابلي صحابي.

عادي.

ثم تحولت لهجته لشئ من العصبية قائلاًبغضب كغضب الأطفال :بس ياريت

متلبسيش اللبس دا تاني، دراعك كان باين كله بصراحة.

نظرت إليه في دهشة، وخبأت ابتسامة مباغتة كعادتها، فى حين نظر هو إليها، وترك الحجرة وهو يتمادى في الإبتسامة..

لقد اكتشف غيرته عليها، واكتشف أنها بحق (باهرة الحسن).

* * * *

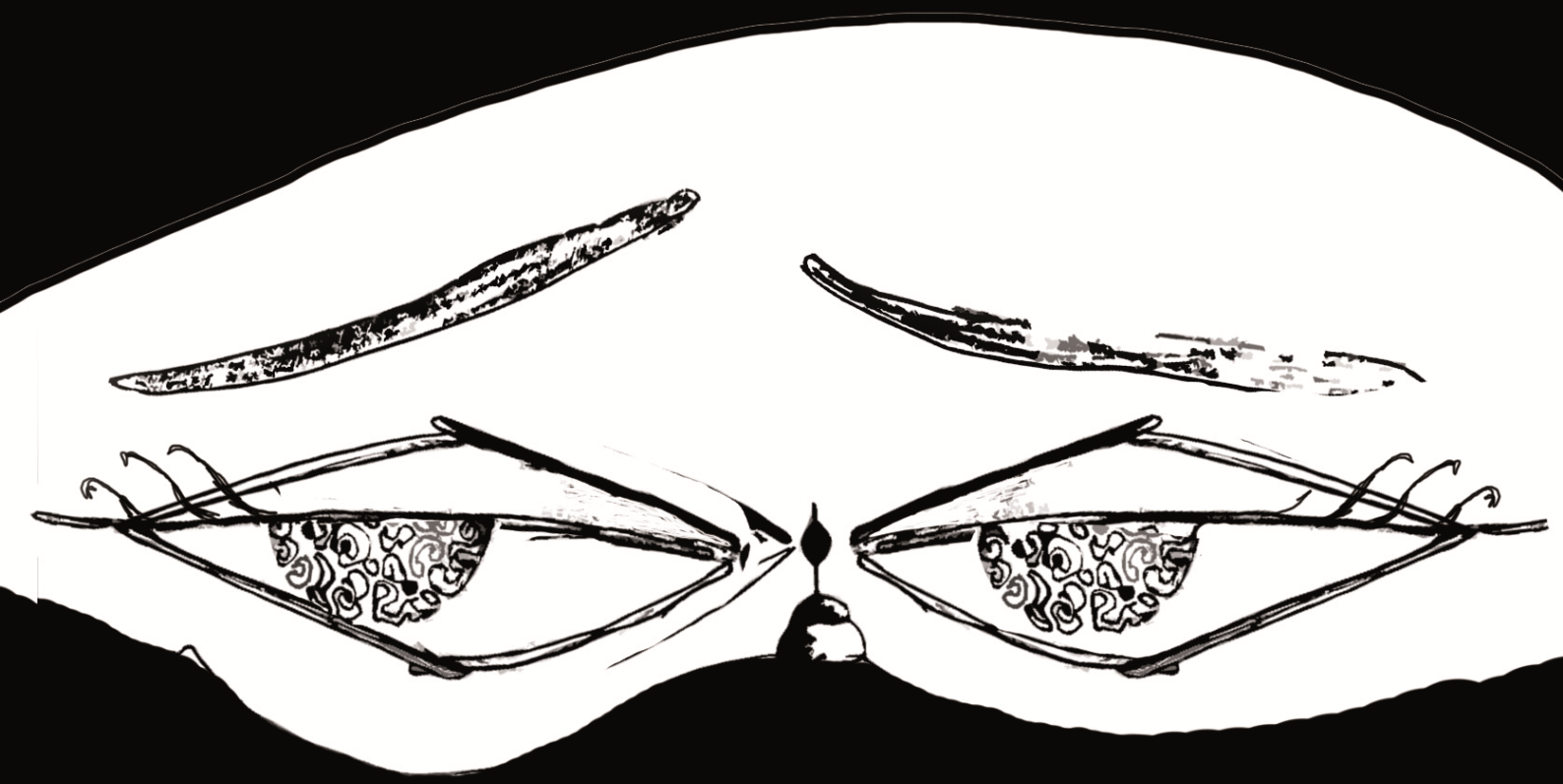

في اليوم التالي

يأتي أهله وأقاربه يهنئاهما، تجلس معهما ثم دخلت بسبب مكالمة لهاتفها..

تقول له أمه: لا البت محترمة ومتربية ومؤدبة فعلاً، باين عليها؛ أصل البنت بتبان يابني بعد الجواز ، قبل الجواز، وأيام الخطوبة ماتتصدقش، ولا انت شايف ايه؟

_اللي تشوفيه ياحاجة..

_طيب ، مش هتبطل طريقتك دي ..!!

_أنا اتكلمت؟

_مانا عارفة إني مش هقدر آخد معاك حق ولا باطل..!

_مانتي الخير والبركة ياحاجة.

_طيب، يلا أسيبك أنا عشان سايبة أبوك في البيت لوحده.

_لا لا لا لازم تتغدي معانا.

_وأبوك اللي سايباه لوحده، مين يحضرله الأكل؟

_عليا الـــ.....

_أوعى تحلف بالطلاق، لو حلفت مرة هتحلف بعديها على طول..

_أنا مكنتش هحلف بالطلاق على فكرة أنا كنت هقول: عليا النعمة.

_هههههههه.. أنا ماشية بقى، خلي بالك منها وخليك حنيّن عليها.

_يووووه.. خللي بالك وخليك حنيّـــن والنصايح بتاعت الخمسينات دي، ناقص أقولك يانينة.

_هههههههه طيب ياواد، براحتك، أنا غلطانة إني بقولك حاجة وبنصحك، يلا مع السلامة.

_مع السلامة ياحاجة، سلميلى على بابا

أغلق الباب ودخل الحجرة..

وجدها تعبث في كتبه، فبادرها سائلاً:إايه رأيك في ماما؟

_لطيفة..

ـــبس؟!

ـــوحنيّـــنة..

ـــبس؟!

تنهدت في ضيق وأولت اهتمامها للكتب.

ثم سألته: انت مبتقراش قصص عاطفية ليه؟، كل كتبك روايات وفلسفة وفي تاريخ كمان . مفيش زهور ولا عبير.

فوجئ بالسؤال، فهذه أول مرة تسأله في أي شئ أو تقوم بفتح أي موضوع.

سكت لحظة ثم قال:

ـــماهو في ماوراء الطبيعة ورجل المستحيل أهو، كنت بقراهم زمان.

تسكت، فأراد أن يمتد الحديث بينهما وقد استغل الموقف، وسألها: انتي كنتي بتقري زهور وعبير والكلام دا؟

فردت بلكنة الغضب التي يهواها: نعم؟، الكلام دا ازاي يعنى؟...

ضحك ضحكته القصيرة قائلاً:لأ مقصدش، أنا قصدي بتحبي القصص العاطفية والكلام دا؟

ـــأحياناً.. كنت متابعاهم زمان في الثانوي وجامعة وكدا.

فأراد أن يقول شيئاً، فلم يجد مايقوله... سكت

ابتسم بتلقائية وسعادة عندما أضافت هي: وانت مبتقراش الحاجات دي ليه؟

فرد: مبحبهاش، مليش فيها.

ـــهي إيه؟ الرومانسية؟

ـــلأ..أنا مبحبش اقرأ روايات وقصص رومانسية، مش الرومانسية نفسها، تفرق...!

فأومأت ثم صمتت وهي تقلب بفتور في إحدى الروايات..

أضاف هو:ـــ معظم اللي بيكتبوا رومانسي بيكتبوا بعيد عن الواقعية.

فردت بعصبية وهي تصفق دفتي الكتاب: واحنا محتاجين الواقعية في إيه؟، ماحنا عايشينها.. لازم الأدب يقدم شئ من الخيال.

رد في هدوء:ـــ الأدب اللي بيتكلم عن الخيال البحت ده ماعبارة إلا عن مخدرات.. عشان يغيبنا عن الواقع.

الأدب من وجهة نظري لازم يكون مرتبط بالواقع بتاع الكاتب.

_مش لازم، هما بيعرضوا صور من حياة ناس مش عاديين، بس.

_مفيش حاجة اسمها ناس مش عاديين، بس في اختلاف في الحالات اللي عند كل البشر. وكل واحد بيشوف في التاني حاجة مش عادية لكل الناس، رغم إنها حالة مش عادية ليه هو بس.!

صمتت كعادتها.

فقال هو: ثم إن الكُـــتـــّاب الرومانسيين مأفورين الدنيا زيادة عن اللزوم، والحب أبسط من كدا بمراحل..

قالت: ازاي يعني ..!!

_يعني بيعقدوا الدنيا والرومانسية مش بالكلام اللي زي عينيكي أنهار الفواكه ورموشك أغصان الزيتون وشعرك دهب الجبال والكلام دا..

ضحكت بحق، فانتابته نشوة غيرعادية وابتسم ابتسامة عريضة، فقالت: ازاي ؟

أكمل:

_الكلام الرومانسي أسهل من دا بمراحل يعني مش محتاج التعقيد دا خالص.

قالت بعناد: مش انت قلت إنك ملكش في الرومانسية ؟!

رد: أنا قلت انى مليش في القصص العاطفية، يعنى مش عايز حد يعلمني الرومانسية تكون ازاي، عشان أنا ممكن أعلمهم كلهم.

_تعلـــّم مين؟

الكُـــــتّـــــاب الرومانسيين، أعملهم ازاي يكتبوا رومانسي ببساطة ويخلوا القارئ يستمتع.

فقالت ولهجتها تحمل بعض التهكم: تعلمهم ازاي .. مش فاهمة..؟

ثم بدأ في الاقتراب منها قائلاً:

_يعني مثلاً . . . . . .

قاطعه فجأة صوت الجرس يدق، فابتسمت بتلقائية قائلة: دي لازم سلمى؟؛ أصلها كلمتني لما مامتك كانت عندنا _عشان تيجي تباركلنا.

ثم أسرعت للخارج نحو الباب تفتحه.

تمتم في بساطة: بتيجي في أوقات مش مناسبة سلمى..!!

* * * *

احتضنت سلمى في احتياج حقيقي لمثل هذا الحضن.. واحتضنتها سلمى بافتقاد حقيقي أيضاً..

جلست معها في الصالون فـــــَرحة لأول مرة مبتسمة دون خوف من أن يرى أحد ابتسامتها..

وبادرتها:

ــإيه يابنتي أخبارك إيه؟

ــأنا كويسة الحمد لله..!

ــوحشاني.

ــوانتي أكتر ، مقدرتش آجي الفرح كانت عندي ظروف صعبة وماما كانت تعبانة شوية واضطريت أفضل معاها في المستشفى زي ماقلتلك.

ــدا أنا نسيت اسأل، هي عاملة إيه دلوقتي.

ــالحمد لله تمام، قوليلي انتي أخبارك إيه؟

ــمفيش.. عادي..!

ــعادي؟، إيه هو اللي عادي؟، يعني إيه أخباره معاكي..؟

ــهو أنا مقلتلكيش إن محصلش أي حاجة؟

ــولا أي حاجة..

ــولا أي حاجة، ولا أى حاجة؟

ــلا ولا أي حاجة.

ــيعني قصدك انكم انتي وهو..... ؟ وبترت عبارتها لتوحي بالباقي..

اومأت برأسها إيجاباً.

فقالت سلمى في أسف: ليه يابنتي تعملي كدا؟

مريم :- يعني انتي مش عارفة ليه؟

ــمممممم، وهو . . . وافق؟

اومأت أيضاً.

عادت سلمى تسألها: وانتي مش راضية ليه؟

ـــمش هو اللي في خيالي، عادي جداً، انسان عادي مفيهوش حاجة من اللي في أحلامي..!

قالت سلمى بعصبية محببة: يعنى أكرر الكلام كام مرة؟، اللي في خيالك دا عمره ماهييجي أبداً لأنه خيال ، لازم يكون في واقع نقبله..!

ـــمقدرتش، بجد مقدرتش.

ثم بدأت دموعها في الإطلال، فاحتضنتها مرة أخرى كعادتها..

ثم قالت: هو مش هييجي ولا إيه؟

هزت كتفيها جهلاً، فقالت سلمى: طب ناديله؟

قالت: إيه؟

ـــإيه مالك في إيه؟ ، ناديله، إنا عايزة إشوفه، أنا مشفتوش لحد دلوقتى..!!

ترددت قليلاً، فشجعتها سلمى بنظراتها وايماءاتها فنادت: أحمد، أحمد؟

كانت تعرف أنه يبتسم الآن، وسمعته يقول من الداخل: أيوا..

ـــمش هتيجي تسلم على سلمى؟

ـــجاي حالاً .

ثم نظرت سلمى في ترقب، وانتظرته يأتي.

وعندما برز من الداخل اندهشت سلمى، اندهشت حقاً.

(7)

دخل أحمد مرتدياً "بيجامته" ناثراً فوقها قدر لا بأس به من العطر..
مصففاً شعره بأسلوب عصري..
صافحها بأدب وجلس على الأريكة المقابلة لهما.. هنأته وشكرها.
فقال: مريم كانت دايماً بتتكلم عنك، ثم أضاف بلهجة ذات مغزى: في كلامها القليل جداً يعني.
ابتسمت سلمى لتلك الإضافة ثم نظرت إلى مريم التي ابتسمت بدورها وأحنت رأسها.
ثم قالت سلمى: وكانت كمان بتتكلم عنك برضو.!
نظرت لها مريم باستغراب ممزوج بالغضب...
فقال أحمد: مفيش داعي انك تقولي كدا، أنا فاهم.
تنحنحت سلمى وأطرقت، ثم تبادلا هي ومريم نظرات مبهمة..
تنحنح أحمد ثم قال: طب استأذنكم أنا.
قالت سلمى بإحراج: ليه يابشمهندس بس؟، ماتخليك؟
ابتسم قائلاً: لا مانا عندي شوية حاجات هعملها جوّا، خدوا راحتكم انتو.
ابتسمت سلمى وحيَّته بإيماءة، ثم تابعت دخوله ونظرت إلى مريم وضربتها في كتفها برفق:
ـــإيه ده؟
ـــإيه؟
ـــأنا كنت فاكرة إنك مش موافقة بسبب حاجة تانية خالص بصراحة.
ـــحاجة تانية ازاي يعني؟
ـــيعني كنت فاكرة هشوف قدامي واحد اسمه "زعبلاوي" تخين وأصلع وبشنب كدا وقافل الياقة عـــ الآخر والكلام دا، بس طلع حاجة تانية عن اللي في خيالي خالص..
ـــمش عارفة، مش قادرة.

_لأ حددي موقفك، مش عارفة ولا مش قادرة؟

_مش قادرة أحددّ.

_بس دا شكله محترم وطيّب وذكي، وراجل بجد، انتي عارفة لولا إن في "معتز" ماكنتش سبتهولك أساساً.

_هههههه، وانتي اخبارك مع معتز ايه؟

قالت ضاحكة: أدينا بنجاهد، أنا حاسة على مانتجوز هنكون على المعاش خلاص.

_ربنا يوفقكم .

_بس والله مالكيش حق تعملي اللي بتعمليه ده..

قالت برجاء: خلاص عشان أنا محتارة، مش قادرة أفكر.

_مشكلتك انك مش قادرة تخرجي برة أحلامك وخيالك دا ساعة واحدة بس، كويس إننا نكون حالمين، بس مش طول الوقت يعني، انزلينا على أرض الواقع شوية كدة والنبي.

ابتسمت بأسى، وصمتت....

_يلا أسيبك أنا..!

_ليه ياسلمى؟ هو انتي لسه قعدتي؟

_هابقى أجيلك تاني، بس عشان معتز جاي يتعشى عندنا عشان ألحق بس.

_كفاياه عشا، دا من ساعة ماخطبك وهو مبيعملش حاجة غير انه بيتعشى .

معلش بقى، ماهو بيشتغل وبيحضر ماجيستير، خليه يرم عضمه؛ كتر خيره تعبان.

ابتسمت قائلة: طيب، سلام.

ودعت صديقتها بقبلات حانية، ثم تابعتها وهي تنزل على السلـــّم..

ودخلت وأغلقت الباب وفردت ذراعيها مسرورة بسبب رؤية صديقتها.

ثم دخلت للحجرة فوجدته متمدداً على السرير يعبث في حاسوبه..

فقال دون أن يرفع عينيه: هي صاحبتك مشيت ولا إيه؟

اومأت برأسها: ممم أيوا مشيت.

أغلق الحاسوب وقام من فوق السرير وتوجه نحو المرآة ونظر لنفسه قائلا معطيها ظهره: بس حلوة سلمى دي.

انزعجت قائلة: نعم؟!

ابتسم في هدوء مستفز ونظر إليها قائلاً: إيه؟ حرام أقول عليها حلوة؟، طب بلاش.. هي وحشة.

قالت في دهشة مستنكرة: إيه اللي انت بتقوله ده؟

_والله أنا احترت معاكي، أنا قصدي بس إنها حلوة ودمها خفيف يعني، مش أكتر.

أجابته بالسكوت.

_هي صاحبتك من زمان؟!

_ابتدائي.

_بس باين عليها بتحبك.. قوي.

_مليش غيرها أساساً.

_طيب. ثم أضاف: كنت عايز أقولك اني هروح الشغل من بكرة.!

مندهشة: بكرة؟!!

_أيوا، إيه هو انتي عندك مانع؟

قالت متصنعة اللامبالاة:_ لا أبداً عادي.. مفيش موانع.

نظر إليها طويلاً.. ثم خفض رأسه عندما نظرت إليه..

ثم قال: تحبي نخرج نتعشى برة؟

هزت رأسها نفياً، ففتح النافذة ونظر إلى المجهول في إحباط.

فقالت له: تحب أحضرلك العشا؟

_هتتعشي معايا؟ ولا زي امبارح؟

_مليش نفس والله، مبحبش أتعشى.

_ خلاص مش مهم، مش لازم.

وتنهد في ضيق حقيقي، فقالت دون أن تشعر: طب أنا آسفة.!

نظر مبتسماً: آسفة على إيه؟

_خلاص هتعشى معاك، بس نتعشى حاجات خفيفة.

_اللي تشوفيه.

تناولا العشاء سريعاً، ثم قامت تلم الأطباق.

فأقبل يساعدها، ابتسمت قائلة: لا خليك انت مرتاح.

ـ ليه؟، هساعدك..

ـ مش عايزة أتعبك !

ـ تعبك راحة..

لم تخشى هذه المرة من ظهور ابتسامتها أمامه، فقالت وقد شعرت بشئ ما في قلبها:ـ لأ خليك انت مرتاح مش مستاهلة.

لم يرد الجدال كثيراً، فتركها.

ثم سمعها من المطبخ تقول:ـ أعمل لك شاي؟

ـأبقى شاكر ليكي جداً.

فسمع صوت ضحكتها وهى تقول: شاكر ولا أحمد؟

تمنى في هذه اللحظة أن يذهب إليها حالاً ويحتضنها بقوة، ولكن تحلى بالصبر..

أتت والشاي في يديها، صبت له قدحاً..

ثم وضعت فيه ملعقتين من السكر وقالت له: أحطلك سكر تانى؟

قال وهويتابعها بعينيه: لأ كدا كويس.

ناولته إياه قائلة: اتفضل .

ثم وضعت في قدحها ملعقتين أيضاً..

وجلست على الأريكة المجاورة له، كان يتابعها وهي تشرب الشاي في رقة..

حتى فرغت منه، ثم لاحظ أنه لم يشرب شيئاً من قدحه، فتجرعه على ثلاث مرات، ثم ناوله اياها متعمداً رغم قرب الصينية منه ثم قال: تسلم ايديكي.

ردت بابتسامة قائلة: ميرسي.

تـــابعها بعينيه وهي تدخل إلى المطبخ ثم اتكأ على الأريكة وأمال رأسه إلى أقصى الخلف ورفع عينيه للسقف قائلاً: يااااااه، ربنا يهديكي يامريم.

* * * *

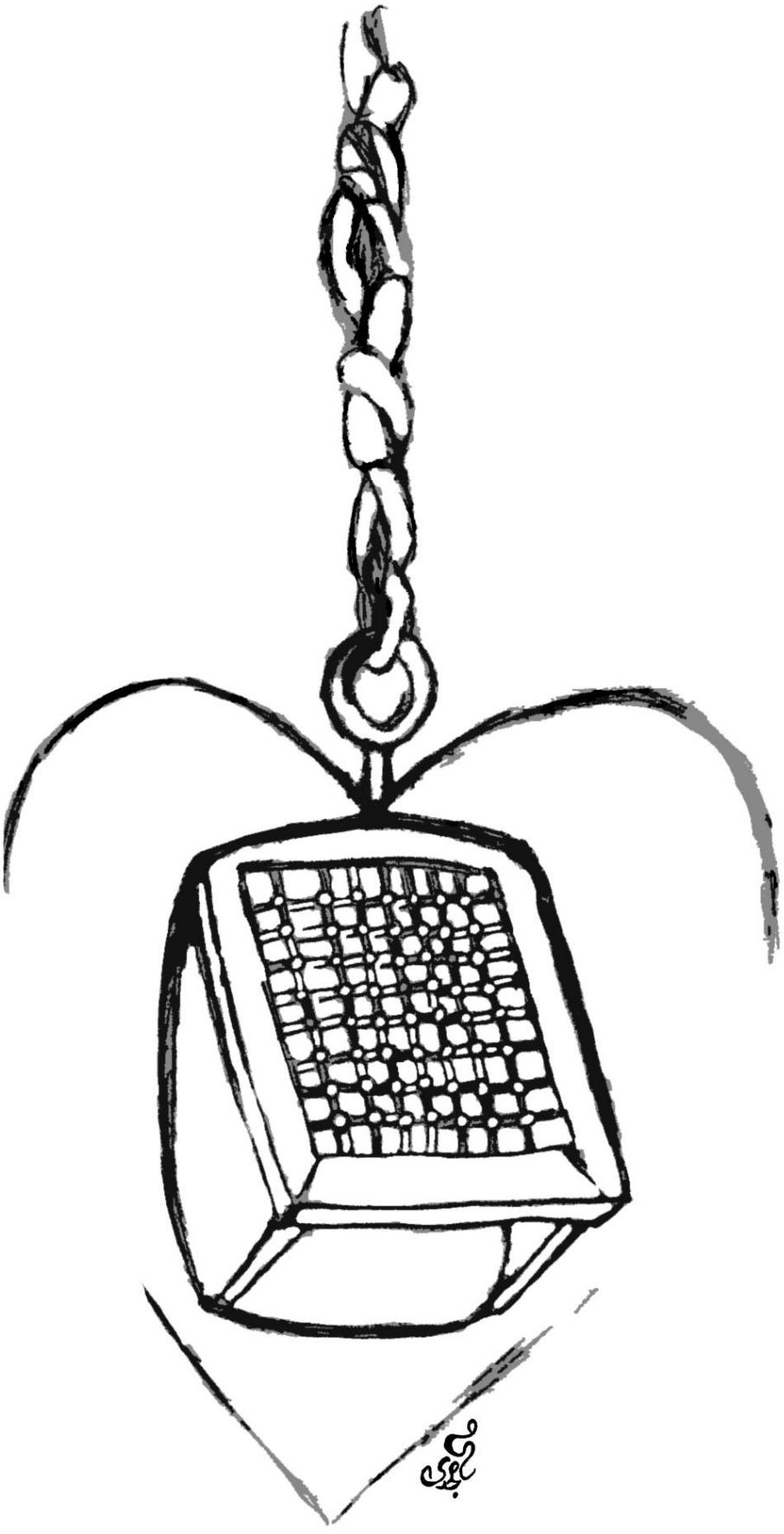

(8)

استيقظت في الصباح، ولا تعرف كم الساعة، لم تأبه يوماً لها، ثم بحثت عنه في حجرته وفي أرجاء الشقة لم تجده

استنتجت من ملابسه الملقاة بإهمال أنه ذهب إلى عمله..

قامت بترتيب الشقة وتنميقها وإضافة لمساتها الأنثوية عليها..

حتى أتى..

وفي يده أكياس كثيرة..

ـ سلام عليكم.

ـ وعليكم السلام.. ايه دا كله؟

ـ أكل، انتي فاكراني هجوعك يعني ولا ايه؟

ابتسمت، وأخذت منه الأكياس قائلة: ثواني أحضرلك الغدا.

ـ خدي راحتك، ألقى الحقيبة في إرهاق وارتمى على الأريكة القريبة.. ثم قفز في نشاط ودخل للمطبخ ثم تناول سكيناً..

نظرت له في دهشة قائلة: إيه ناوي تعمل ايه؟

ابتسم فى حب قائلاً: أنا اقدر برضو أفكر؟، أعيش ازاي من غيرك أنا؟، دا أنا هعمل السـَلـَطة.

مبتسمة: لا خليك مرتاح انت، أنا هعمل كل حاجة...

ـ وفيها ايه لما أساعدك؟

ـ انت جاي من الشغل تعبان.. ارتاح انت.

ـيعني كنت بحفر في قناة السويس، سيبيني أساعدك.

ـ هههههههههه، طب براحتك.

بدأ في تناول الخضراوات وتقطيعها.

ـ بتحبي ليمون عـ السلطة؟

ـ انت بتحبها؟

ـ لو انتي بتحبيها أنا هحبها.

ـ طب مفيش مانع.

أعد السلطة وأخذها للسفرة وأتت هي بالباقي وحين جلسا..

ـإيه رأيك فـ الأكل؟

ـ على أساس ان انت اللي عامله؟

ـ هههههههه بس أنا اللي مختاره، أنا بسألك عن ذوقي.

ـ كويس، جميل.

نظر لها مبتسماً وأطال النظر، لاحظت هذا فرفعت رأسها إليه وقالت له: انت هتفضل باصصلي كدا كتير ومش هتاكل..

ابتسم و لم يجب.

انتهيا من الأكل، وأعدت له الشاي..

أتت وجلست على الأريكة المجاورة له..

ـماتيجي هنا جنبي.. متخافيش.

ـوأنا هاخاف من إيه؟

ـمانا شايفك مبترضيش تقربي .. متخافيش يعني.!

ـبتقول متخافيش ليه؟، هاخاف من إيه يعني؟

ـلو حصل أي حاجة مثلاً.. أنا مش هستغل الموقف، بس عايز أحس انك جنبى، مش أكتر.

ـوتستغل الموقف ازاي يعني؟ انت جوزي أساساً..!

ـالحمد لله، عرفتيها لوحدك دي، طيب تعالي.

همت بفعل شئ أو بقول شئ، إلا أنها سمعت صوت هاتفها يرن..

قامت لتحضره، وترى من المتصل، ابتسمت حين نظرت إليه وقالت بفرحة: ـدي سلمى .!

وردت عليها وهي تدخل، تمتم هو في ضيق حقيقي: مش قلتلك بتيجي في أوقات مش مناسبة يا سلمى... !!

ثم قام من على الاريكة بعصبية وقال بصوت مسموع متوتر: أووووف، دا ايه الجوازة اللي مع إيقاف التنفيذ دي؟

* * *

استيقظ من نومه بعد العصر، توضأ ليصلي المغرب ..

ثم بعد المغرب جلس وأخذ يقلب في التلفزيون بسرعة ويتجول بين قنواته..

أتت هي من الداخل تسأله: أعملك شاي؟

_ليه؟

_مش عايز يعني؟

_لأ طبعاً مفيش مانع بس ليه مرة واحدة كدا قلتي.

_عادي، أصل بابا كان متعود بعد ماييجي من أي صلاة بيشرب شاي..!!

_أوك، اعملي.

أتته بالشاي وجلست بجواره في هدوء، قائلة: آديني بقعد جنبك أهو.

ابتسم وقال برقة: وياريتك على طول.

تجاهلت ماقاله وارتشفت من الشاي رشفة وقالت: هو أنا لوعزمت سلمى ومعتز يوم عندنا عـــ الغدا؟، دا ينفع؟

_ومينفعش ليه؟، اعزميهم طبعاً.. بس قبل ماتعزميهم، مين معتز أصلاً؟

_معتز، خطيب سلمى.

ارتشف رشفة هو الآخر وصمت لحظة ثم قال: وهو انتي ايه علاقتك بمعتز؟

_بتسأل ليه؟

_عادي، مجرد سؤال، ثم أضاف في استدراك: مش قصدى حاجة والله العظيم، سؤال عادي.

_طيب، هو العلاقة بينا إنه بس خطيب سلمى وقابلته 3 أو 4 مرات كدا بالصدفة، يعني تقدر تقول مفيش علاقة.

_وانتي إيه رأيك فيه؟

_ معتز؟

_آه يعني إيه رأيك هو مناسب لسلمى مثلاً، ايه رأيك في شخصيته؟

_ هو جميل، لطيف يعني ومحترم.. زيك كدة.

تهللت أساريره و قال: يعني انتي شايفة اني لطيف ومحترم؟

ـ متهيألي كدا يعني، أنا اللي شفته منك كدا، وكمان كنت أعرفه من زمان.

ـوانتي كنتي تعرفيني من زمان؟

ـمش كنت جارنا؟

ـبس أنا أساساً مكنتش بشوفك غير بالصدفة في البلكونة، وكمان كنتي دايماً سرحانة وعينيكي للسما.

ـماهو أنا مكنتش بخرج غير في البلكونة. . بس أنا كنت أعرفك يعني انك ساكن قدامنا وانك مهندس وكدا، عادي يعني، كانو بيجيبوا سيرتك أحياناً ويقولوا عليك انك محترم وابن ناس وعندك أخلاق.

ـكانوا بيقولوا عليا فعلاً.

ـبس متتغرش يعني كدا.

ابتسم وقال: وانتي كان ايه انطباعك لما كانوا بيقولوا؟

رددت مستغربة : انطباعي؟، مكانش في أي انطباع، عادي، أي كلام.

ضحك ضحكة عالية ثم قال: وانتي كمان كانوا بيجيبوا في سيرتك أحياناً.!

اندهشت ودق قلبها في عنف وقالت مأخوذة: بيجيبوا سيرتي ازاي يعني؟

ـمالك اتخضيتي ليه؟، أقصد الشباب بتوع منطقتنا لما كنا بنتكلم عن البنات اللي ساكنين في منطقتنا كانوا بييجوا عندك ويقولوا: بس البنت دي باين عليها محترمة فعلاً.. يعني محدش قال عنك حاجة غلط.

ابتسمت وقالت: وكانوا بيقولوا ايه كمان؟

ـكانوا بيقولوا انك محترمة بجد مبتمثليش الاحترام، وكمان كانوا بيقولوا انك جميلة وان جمالك فيه هدوء وارتياح كدا

دق قلبها بعنف ولكن هذه المرة كانت من السعادة التي اجتاحت نفسها.

ثم قالت مبتسمة: ممم كمل، وبعدين؟

ـ مفيش بس، الحكاية دي لفتت نظري ليكي بصراحة، خاصة اني اكتشفت ان فعلاً جمالك في هدوء مُريح .

ويدق قلبها مرة أخرى ولكن بشئ آخر، لا بالسعادة ولا بالخوف.. شعور جديد لم تشعر به من قبل.

_انت ايه رأيك؟

_ فـــ إيه؟

_ أعزم سلمى ومعتز امتى؟

_ آه، براحتك.. إن شاالله حتى بكرة.

_ أوك، هاقوم أكلمها .

_طب ماتخليكي قاعدة جنبي شوية، وابقي كلميها بعدين.

_طب ماتقوم انت تصلي العشا، عشان قرب.

هههههههه، ماشي، ثم قام واتجه ناحية الباب وفتحه ثم توقف قبل الخروج قائلاً : هتوحشيني على فكرة على ما أصلي وأرجع.

دق قلبها بنفس الشعور الجديد السابق ذاته.

وحينما أغلق الباب، ضبطت نفسها متلبسة تقول له:

"وانت كمان هتوحشني"....

* * * *

(9)

استيقظ في الصباح على صوت جلبة صادرة من المطبخ، تثاءب في كسل ثم ذهب إلى المطبخ فوجدها منهمكة فى تحضير شئ ما

_صباح الخير.

_صباح الفل.

_بتعملي إيه؟

_بجهز الغدا عشان سلمى ومعتز اللي جايين النهاردة.

_آه تصدقي أنا نسيت، طب هو انتي بتعرفي تطبخي، ولا نجيب أكل جاهز؟

_هتشوف.

_ياسيدي عـــ الثقة، طيب لما نشوف.

ثم أشارت إلى الخارج قائلة:

أشارت للخارج قائلة :_في ورقة على الترابيزة برة فيها شوية طلبات، ممكن تجيبهم؟!

_هههههه أكيد ممكن طبعاً.! انتي تؤمرى.

منحته ابتسامة قائلة: ميرسي.

عاد محملاً بالأشياء التي طلبتها وطلب منها أن تتفقدهم إن كان قد نسى شيئاً فأخبرته بأن هذا أكثر مما تريد، وذهب إلى عمله وعاد مبكراً عن موعده.

دخل إليها في المطبخ، وجدها لازالت منهمكة.

وجهت إليه نظرة سريعة قائلة:

_جيت بدري يعني !

_عشان الضيوف اللي جايين بس، انتي خلصتي؟

_تقريباً.

قال مستطيباً الرائحة: مممممممم، الأكل فعلاً ريحته تجوّع، الظاهر ان ثقتك في محلها.

ابتسمت و لم تعلق.

_أنا هروح أغير هدومي.

_اتفضل.

وبعد دقائق دق جرس الباب، ففتحت هي وعانقت سلمى، وصافحت معتز.

ثم برز أحمد من الداخل، سلم عليهم مرحباً ثم دعاهم للجلوس.

_أهلاً وسهلاً نورتوا..

_أهلاً بحضرتك.

_شرفتونا، اتفضلوا.

_الشرف لينا.

أخذت (مريم) (سلمى) من يديها معها نحو المطبخ..

في حين دعا (أحمد) (معتز) للجلوس، وما إن جلسوا، بدأ كل منهما يتفرس في ملامح الآخر.

_انت كنت بتاخد درس فيزيا في الثانوى عند الأستاذ ضاحي؟

_أيوا، الجامد أبو شعر أبيض دا، اللي كان معاه عربية كحلي.

_أيوة، انت معتز اللي كنت بتقعد عــ اليمين خالص ومبترضاش تقعد غير في المكان ده.

_أيوة بالظبط، أمال انت مين؟

_أنا أحمد عصمت.

_العبقرينو المتفذلك، اللي كنت بتيجي حافظ الدرس كله؟

_هههههههههه، تخيل ..

_دي الدنيا دي يا أخي فعلاً صغيرة .!

_هههههههه، طول عمرك رخم.

في هذه الأثناء كانت مريم تسأل سلمى: هاه ايه رأيك في الشوربة .. محتاجة ملح؟ تذوقتها وقالت_لا مظبوطة كدا ..

_تمام، يلا نعمل السلطة.

نظرت للخارج وقالت:_أخبارك معاه ايه؟

_مش عارفة ..

_وأنا بسألك عن واحد عمرك ماشفتيه؟!.

_مفيش، لطيف بصراحة، أنا خايفة أحكيلك كلام تقولي عليا مفترية.

فضحكت قائلة :_لا احكي أنا عارفاكي طول عمرك مفترية.

همت بالحديث، إلاّ إنها سمعت صوت أحمد من الخارج يقول مداعباً:_ على فكرة خمس دقايق وهنترل ناكل برة في أي مطعم.

_حالاً.

_يلا يا بنتي نجهز السفرة عشان مايحصلش مشاكل.

_متخافيش مفيش مشاكل دا بيهزر.

_ مفترية فعلاً.

ضحكت وبدأت بتجهيزالأطباق ثم بدأت في الذهاب بها للسفرة وتبعتها سلمى.

كانوا يتناولون الطعام بينما أحمد ومعتز يسترجعان الماضي، سلمى ومريم ينظران لبعضهما مبتسمتين.

قالت سلمى:_ بس جميل إنكم طلعتوا تعرفوا بعض.

أحمد:_ معتز دا حبيبي، رغم إنه كان فاشل.

ضحك معتز و لم يعلق ..

قال أحمد لمريم مداعباً:_ مش ملاحظة إنك عمالة تحطي الأكل كله قدام سلمى وسايبة معتز خالص، هو كدا مضطهد في كل حتة.

معتز: أيوا والله، هما كدا الناس الناجحين.

_ناجحين ايه انت هتمثل .!

_أيوا ياعم ناجح عشان كدا كان الاستاذ ضاحي بيضطهدني.

_بيضطهدك عشان مكنتش بتحل التمارين يافاشل.

_ماهو محدش كان بيحلها أصلاً باستثناءك يعني.

_هو كان بيحبني عشان أنا كنت عبقرى المجموعة.

تدخلت مريم قائلة:_ طب لاحظوا إنكم مبتاكلوش خالص، كلوا وبعدين ابقوا شوفوا الذكريات دي بعدين.

أنهيا الطعام ومابعد الطعام .

ثم أخذت سلمى مريم إلى الحجرة قائلة: طب نستأذنكم احنا شوية وانتو شوفوا

الحاج ضاحي بتاعكم ده.

وما أن انفردت سلمى بمريم حتى قالت لها: أنا بجد مش مصدقة، عارفة اني طول عمري نفسي نتجوز اتنين صحاب عشان منفترقش، بس حلم كنت شايفاه بعيد، لحد ماربنا حققه بعد ما يأست منه .

_طب وده معناه ايه؟

_معناه ان أحمد ده قدرك يابنتي، كل الأقدار بتدفعك لأحمد دفعاً.

_ممم جميلة حكاية دفعاً دي، طب وأنا أعمل ايه دلوقتي؟

_مفيش، ترضي بقدرك، وأنا مش شايفة أحمد يستحق منك كل ده يعني.. هو انتي ايه فـــ دماغك بالظبط .

_والله أنا مش عارفة أبداً أي حاجة، أحمد بيتعامل معايا بكل حب وصبر ونبل ورجولة وأخلاق وكل حاجة حلوة؛ بس أنا مش عارفة أفكر بصراحة خالص.

_طب يعني إيه النتايج اللي مستنياها على كل الأحوال؟

_برضو مش عارفة، ومش عارفة حتى مشاعري ناحية أحمد ايه... أنا امبارح لقيت نفسي بقوله فجأة هتوحشني.

اتسعت عينا سلمى ذهولاً وهتفت: وسمعك؟

_لأ كان قفل الباب.

_طب ماهو طول مابيوحشك، يبقى بتحبيه.

_مش عارفة، أصل أنا عمري ماقتنعت ان في حب بييجي بعد الجواز أصلا، بحسه خضوع للأمرالواقع أكترمنه حب.

_على فكرة أنا غلبت معاكي، ومش قادرة أفهمك.

ثم سمعت "معتز" ينادي: سلمى، سلمى .. يلا عشان اتأخرنا.

خرجت سلمى ووراءها مريم تقول: ما لسه بدري طيب.

_لا ده كده كويس قوي، عشان الشغل بس، يلا سلام عليكم ..!

قال أحمد: مع السلامة، خلاص يامعتز هاشوفك كتير الأيام الجاية .!

قال وهو يخرج من ناحية الباب في نفس الوقت التي كانت تقبل فيه مريم سلمى: آه أكيد، سلام.

_مع السلامة.

أوصلهما حتى المصعد ثم دخل وأغلق الباب.

_شفتي الدنيا ضيقة ازاي؛ معتز ده على الرغم من إن علاقتي بيه سطحية بس كان دمه خفيف بصراحة.

_ ممم ، كويس.

قال في ضيق: ممكن اتكلم معاكي شوية؟

_اتفضل ..

جلسا فبادرها قائلاً: وآخرتها؟

_آخرة ايه؟

_آخرتنا احنا مع بعض.

تنهدت و لم تجيب.

_طب هو ايه مواصفات الشخص اللي انتي بتحلمي بيه ده وأنا ابقالك زيه.!

لم تعلق ونظرت بعيداً.....

_هو انتي ليه لما اكلمك مبترديش عليا؟

_بص، أنا والله مقدرة صبرك عليا جداً، بس ياريت تسيبني فترة كدة عشان تفكيري تقريباً هيتشل.

_ويتشل ليه؟.. ماتريحي نفسك.

_بلاش لو سمحت نتكلم في حاجة تضايقني، قلتلك سيبني فترة كدة أركز.

_براحتك، زي ماقلتلك قبل كدة إني مش هغصبك على حاجة.

_أنا نازل شوية لأني مخنوق، تحبي أجيبلك حاجة معايا؟

_لأ متشكرة.

وهو يفتح الباب نظر إليها نظرة من ضاق صدره بشئ ما وبلغ به الملل مبلغه.

لم تحتمل تلك النظرة، فلم تلبث أن أغلق الباب، وتركت العنان لدموعها.

* * * *

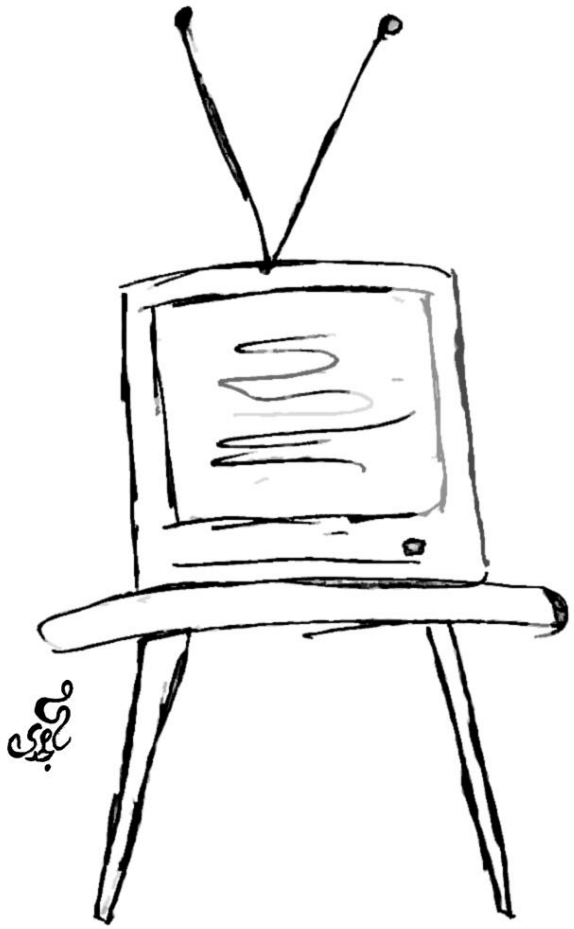

(10)

عاد في ساعة متأخرة نسبياً وجدها نائمة، تمنى لو يطبع على وجنتها أو جبينها قبلة حانية، تراجع متمتماً في خفوتً: ــوصفولي الصبر .

ليس لديه رغبة فى النوم، تناول كتاباً من كتبه وجلس يقرأه في الصالة، حتى نام فيها.

استيقظت في الصباح وجدته نائماً، أيقظته في رقة: أحمد، أحمد اصحى.

فتح عينيه في صعوبة، وجدها أمامه وفي عينيها قلق.

ــانت ايه اللي نيمك هنا؟

نظر حوله ثم اعتدل محركاً رقبته : ها؟

ــمش أنا لوحدي اللي بنام في الصالة يعني.

ابتسم قائلاً: صباح الخير.

ــصباح الورد.

ثم اتجهت ناحية المطبخ قائلة: خد دش على ما أحضرالفطار .

قمع رغبة لديه في استكمال النوم بتذكرالعمل، قال وهو يتناول إفطاره: على فكرة أنا النهاردة حلمت بيكي.

ــعادي.

ــعادي؟! عادي ازاي يعني؟

ــمانا حلمت بيك قبل كده برضو.

اتسعت عيناه دهشة وقال والابتسامة تؤلم وجنتيه: حلمتي بإيه، انطقي بسرعة.

نظرت له و لم ترد، جمعت الأطباق وأدخلتها للمطبخ.

ولكنه قال في إلحاح: لازم تقولي حلمتي بإيه؟

أمسكت حقيبته ووضعتها في يده قائلة: حلمت بإنك مسكت شنطتك ونزلت جري على شغلك عشان متتأخرش.

ضحك ضحكة عالية ثم قال: ماشي، بس لما أرجع لازم تحكيلي.

ــلما ترجع يحلها حلاّل.

خرج من الشقة وأغلقت الباب خلفه مودعة إياه، ثم دخلت وأمسكت بالكتاب الذي كان يقرأه فإذا به رواية.

قلبت فيه، فإذا بأول جملة مكتوبة في الرواية "جبال الكحل تفنيها المراود "

لم تفهم الجملة في البداية، ولكن بعد تفكر فيها وتمعن، أحست انها مكتوبة لها.

اتصلت أمها بها؛ لتطمئن عليها وطلبت منها أن تعتني بأحمد، أخبرتها بأنه ابن حلال وطيب.

ظلت بعد مكالمة والدتها تردد اسمه ثم تسأل الجدران: لماذا معظم أبطال القصص العاطفية اسمهم "أحمد" مع اختلاف اسماء البطلات؟

دخل فجأة فوجدها واقفة في منتصف الشقة، تعجب مما تفعل.

_واقفة عندك كده ليه؟

_عادي.

دخل وألقى الحقيبة في إهمال كعادته.

_أحضرلك الغدا.

استلقى على الأريكة في إرهاق، ثم قال: ياريت.

ابتسمت وقالت في دلال طبيعي: طب مش هتيجي تساعدني؟

ابتسم وقال مداعباً: انتي هتتعودي ولا ايه؟

ضحكت ثم قالت: أنا بهزر معاك على فكرة أنا مكنتش هخليك تساعدني أصلاً.

_هههههه بتختبريني يعني.

_لأ بهزر، مش بختبرك لأني عارفاك لو طلبت منك مساعدة مش هتتأخر.

ثم دخلت للمطبخ.

فقال في بساطة وهو يتناول الريموت كنترول: والله انتي عسولة...

قال وهو يتناول الغداء: هو انتي حلمتي بيا ازاي؟

_بلاش كلام واحنا بناكل.

ابتسم قائلاً: أمرك ياجلالة الملكة.

ابتسمت و لم تعلق.

انتهيا من الطعام وقال في إلحاح أيضاً وهو يشرب الشاي: هو انتي حلمتي بيا ازاي؟

ـــيووه، هو انت الموضوع شاغلك ليه كده؟

ـــعادي، بس ده أكيد له دلالة واقعية متهيألي.

ـــبص، والله أنا ما فاكرة.. بس كان في غابة وانت كنت لابس أبيض وشعرك متسرح على جنب وعينيك بتلمع وكان في أشجار لونها غريب جداً، والناس صغيرة وجوا حاجات معرفهاش كدا شفافة.. يعني كان في لخبطة.

كادت أن تخبره عن أنه كان راكباً حصان، ولكن شئ ما داخلها اسكتها.

ـــوانتي كان دورك ايه؟

ـــمفيش كنت واقفة عادى .

نظر لها نظرة طويلة ثم قال: مممممممممم، طيب.

بتبصلي كدا ليه؟ بقولك مش فاكرة بجد.

طيب خلاص مصدقك.

ثم وضعت كوب الشاي الفارغ على المنضدة ثم قالت: وانت حلمت بيا ازاي؟

قال في خبث: مانا مش فاكر برضو.

قامت لتدخل للمطبخ وفي يدها الأكواب الفارغة على الصينية قائلة: طيب، لما تفتكر ابقى قوللي.

ثم دخلت فقال مبتسماً دون أن تسمعه: اتعلمتي الخبث انتي اليومين دول.

* * * *

في المساء، بعد صلاة العشاء جلس أمام التلفزيون في حين أعدت له الشاي وجلست جواره بينما كان يشاهد التلفزيون.

صبت له الشاي وناولته اياه ثم قالت: هو مفيش حاجة غير الفيلم دة ؟

ـــانتي مبتحبيش الأفلام.

ـــلأ بحبها، بس القديمة أكتر، إنما الجديد حاجات قليلة.

ـــقديمة زي ايه يعني؟

ـــالبوسطجى، الشموع السوداء، نهر الحب، سيدة القصر، الوسادة الخالية.

ـــذوقك عالي، استني أدورلك على واحد فيهم.. على فكرة بحب الأفلام دي أنا برضه.

_في فيلم اسمه "مع الذكريات" ، عارفه؟

_آه ده بتاع أحمد مظهر ونادية لطفي، لما صلاح منصور يكون طالع أحدب.

_ايوا هو ده..

_ده جميل برضه.

_يعني دي من الأفلام اللي بحبها.

ثم ألقى الريموت وقال لها: طب ماتيجي نسيبك من التلفزيون ونتزل نتعشى برا في أي مكان.

_مليش نفس والله بجد.

_طب تعالي نقعد في أي حتة نشرب أي حاجة نقعد شوية كدة.

_مبحبش أقعد في كافيهات والكلام دا معلش.

ثم تهلل وجهه قائلاً: طب ايه رأيك آخدك ونشم شوية هوا على الكورنيش؟

كورنيش..؟!

ثم قالت بعد برهة :أوك، مفيش مانع. ثواني ألبس وأجيلك.

ارتدت ملابسها، وخرجت له.. وعندما رآها ترتدي شيئاً محتشماً، ابتسم قائلاً: الحمد لله.

ابتسمت بدورها وسألت: على ايه؟

_على نعمه ، ثم أضاف في حب: ومنها انتي.

اتجهت ناحية الباب في خجل، فتحته وخرجت قائلة: طب يلا بينا.

أردف قائلاً وهو يغلق باب الشقة: وأهمها انتي .

* * * *

ما إن جلسا على المقعد الرخامي المواجه للكورنيش حتى شردت هي تاركة نفسها للنسيم الصافي الآتي من بعيد..

بينما جلس هو أمامها يتأملها، ظلا هكذا برهة.. حتى قال: أجيبلك حاجة ساقعة؟

_لأ أنا عايزة آيس كريم.

_ضَحـــِك، ثم قال: ده انتي داخلة على طمع.

ابتسمت فقال هو: ثانية واحدة.

بعد لحظات أتاها بالآيس كريم، ناولها واحدة قائلاً: اتفضلي يا ستي.

ثم قال: اشمعنى الآيس كريم يعني اللي انتي طلبتيه؟

_مناسب لجو المكان.

_مش بقولك ذوقك عالي.

_تصدق الجو هنا هايل، أنا أول مرة آجي هنا.

ضحك ضحكة قصيرة ثم قال: رغم ان بيتكم قريب من هنا جداً، أنا متهيألس لو مامتك بصت من البلكونة هتشوفنا.

_مانا مكنتش بخرج من البيت أصلاً إلا للضرورة، مكنتش بتفسح وكدا..

_ليه ؟

ابتسمت وأطرقت.

فقال هو: أنا كنت باجي الكورنيش لوحدي لما أبقى مخنوق.

_لوحدك؟

_آه، وساعات مع أصحابي بس قليل لما كنت باجي معاهم..

_ليه، هو انت عمرك ماحبيت قبل كدا؟

_هههههه ولا بعد كدا.

_ليه كدا؟

_مكانش في فرصة..

_ولا مكانش في حد؟

ضحك بخبث ثم قال: بصراحة الاتنين.. بس أصل أنا كنت في الثانوي كنت بجاهد عشان أدخل هندسة ومكنتش فاضي حتى أفكر.. ولما دخلت هندسة فعلاً فقلت لازم أخلص الكلية الأول وبعدين أفكر في الموضوع ده.

وبعد ماخلصت كان أهم حاجة عندي إني ألاقي فرصة شغل كويسة، ولما لقيت الفرصة لقيت نفسي أخدني الشغل ولقيت نفسي كبرت على الحب والكلام ده، فقلت أتجوزعلى طول.

أكملت هي: رحت متقدملي.

_لأ مش بالسرعة دي.. بصراحة كان في كذا اقتراح من والدتي وقرايبي للمساعدة، بس أنا بصراحة كنت حاطط عيني عليكي من أيام الكلية، بس طبعاً مكانش في فرصة أكلمك أصلاً.. ولما قلت عليكي معظم الناس أستريحوللك، فـــ أنا قلت خلاص "الخيرة في ما اختاره الله"

_طب ولو كنت أنا رفضت؟

_كان عندي احساس انك مش هترفضي.. وكمان كنت بدعي لربنا إنك توافقي وكنت كل ماتجيني فكرة إنك ممكن ترفضي أتضايق..

ابتسمت ابتسامة عريضة ثم قالت مطرقة متظاهرة بالانهماك فى الآيس كريم : ياه، للدرجة دي؟

_بصراحة أنا عايزأعترفلك اعتراف، أنا بصراحة كنت بقف في البلكونة بالساعات عشان تبصي عليا وانتي مبتبصيش، كنت بحاول لفت نظرك بس انتي مكنتيش بتبقي واخدة بالك.

وكنت بصراحة بتكسف أكلمك، خاصة إنك دايماً سرحانة ومش مركزة مع العالم فمكنتش برضى أخرجك من الحالة اللي انتي فيها.

ابتسمت وابتسماتها تنيروجهها: انت كنت بتقف في البلكونة عشاني أنا؟

_يعني بصراحة انتي قدرتي تجمعي مواصفات فتاة أحلامي، عشان كدا لو كنتي رفضتي كنت هاستنى فتاة أحلام تانية ومكانتش هتيجي لأن مفيش زيك.

قالت مندهشة :انت بتتكلم بجد؟ أنا مش قادرأصدق، أنا فتاة أحلامك؟

_على فكرة في بنات كتير مش بيحسوا ان في حد فعلاً مهتم بيهم أو معجب

بيهم.. حتى لو لاحظوها بيكدبوا نفسهم وبيقولوا دي مجرد أوهام.
_أيوا فعلاً دي حقيقة، بس بصراحة أنا عمري ما توقعت إن في حد ممكن يهتم بيا.
_وأهو حصل، والحمد لله إن الحد دا جوزك، ولا انتي ليكي رأي تاني؟
_الحمد لله طبعاً على أي حال.
_مش كدة؟
_بقولك ايه؟ أنا عايزة آيس كريم تاني..!
_هههههه من عينيا.
_وبعد أن أحضر الآيس كريم جلسا يتناولانه هادئين واجمين.. خاصة هو..
بينما كانت تنظر له، تجده ناظراً للأفق لاحراك.
فتتركه وتنظرهي بدورها إلى اللاشئ. كانت تواجه رغبة مُـــلـــِّحة في إسناد رأسها على صدره..
شعرت بنسمة هواء خفيفة تخترق ملابسها وتنفذ إلى بشرتها..
شعرت بالبرد قليلاً..
فوجئت به يسألها في نفس اللحظة: بردانة؟
همست:شوية.
أحاطها وضمها إلى صدره... اجتاحتها فرحة حقيقية وظلت ساكنة بين أحضانه.
حتى قال لها: أجيبلك آيس كريم تاني؟
أخرجت نفسها من بين ذراعيه في بطء قائلة: لا ده كده كويس، عشان الساعة 11 : 30
_طب وايه المشكلة، خلينا قاعدين شوية كمان.
_انت عندك شغل الصبح والوقت اتأخر، كويس كدا.. يلا بينا.
_زي ما تحبي.. يلا.
ثم قال لها بعد أن قاما: استني اوقف تاكسي.
_ايه رأيك لو نتمشى؟
_ياريت.. بس عشان انتي ما تتعبيش!
_نتمشى أحسن متهيألي.

ـاتفضلي.

سارت بجواره وهو صامت واجم لا يتحدث بينما نظرت له كثيراً وشعرت بذلك الشعور الخفي الذي يمد الإنسان بالأمان والراحة في حضرة شخص ما.. أمد يده لتحتضن يدها.. فاستجابت في شوق، رنت إليه مبتسمة، وقد فاجأها شعور داخلها بأنه أمير من الأساطير.

اختفى هذا الشعور فجأة وكأنه ومضة ثم انطفأ.

يبدو أن القدر يدفعها دفعاً إليه كما قالت سلمى.. وياله من قـــدَر.

(12)

مدخل العمارة مظلم على غير العادة.. اقتربت منه حتى تماسا، تقريباً التصقت به.. أحاطها بذراعه قائلاً: أكيد اللمبة بتاعة المدخل اتحرقت.

كانت كهرباء المدخل والسلم شبه منطفأة، أخرج هاتفه فـــ أضاء قليلاً، وجهه لأماكن المصابيح قائلاً :- ده مافيش لمبات أساساً.. متخافيش خير، يمكن حصلت مشاكل.

أمسكت بيده فقال:_ متخافيش أنا معاكي.

أدخلت الجملة الأخيرة على نفسها الطمأنينة حقاً، فتلاشى الخوف داخلها..

صعدا السلم في حذر وهي بجواره..

وعند باب شقتهم وقفا وأخذ يبحث في جيبه على المفتاح..

فجأة، سمعا صوت قطة مفزع..

فوجدت نفسها تحتضنه بينما احتواها هو بحب، وظل يربت على كتفها قائلاً: متخافيش..

بذلت مجهود خرافي حتى تستل نفسها من بين أحضانه وكأنها أدمنته..

ثم دخلت معه الشقة وضغط على مفاتيح الكهرباء فـــ أضاءت الشقة فقال: خلاص النور جه أهو.

ابتسمت ودخلت وجلست على الأريكة..

قال لها: ايه مش هتنامي ولا ايه؟

_لا مش جايلي نوم.

تردد مابين الدخول إلى الحجرة والبقاء معها.. فقالت له هي: اتفضل انت نام وأنا شوية كدا وهدخل أنام.

ظل متردداً ولكنها قالت :_ انت عندك شغل الصبح، روح انت نام وأنا مش هتأخر.

حسمت تلك الجملة أمره بأن قال :_ طيب أوك، تصبحي على خير.

تركت ابتسامتها تقفز لشفتيها قائلة:_ وانت من أهله.

تابعته وهو يدخل إلى الحجرة ثم جلست وقد ومضت في رأسها ذكريات ليلة زفافهما عندما تركها أيضاً ودخل إلى الحجرة ينام..

ولكنها هذه المرة أقل حيرة، وأكثر نضجاً..

هذه المرة تشعر بذلك الشعور الغريب ذاته الذي لم تشعر به من قبل..

الشعور الذي يجعل شخص ما يحتل جزء كبير من تفكيرك، ويستوطن قلبك..

يبدو أن هذا هو ما متعارف عليه بين الناس باسم "الحب"

لم تكن تحب هذا الشخص، ولكن أفضل الحب هذا الذي يأتي بعد رفض..

لقد نضجت في تلك الفترة البسيطة، وعرفت أن الأحلام تلك التي تأتينا على الأرض لاتلك التي نذهب لها في السماء..

عرفت أن فارس الأحلام هو شخص عادي جداً..

لن يأتي من بعيد أو مسافراً عبر الأزمان أو قادماً من الأساطير..

ولكن زوجها هذا ليس شخصاً عادياً..

إنه فعلاً يبدو كأمير وفارس نبيل.. لو أمعنت فيه قليلاً لرأته فعلاً كذلك إنه هو فارس أحلامها بكل ماتحمله الكلمة من معانٍ وأضاءت تلك الحقيقة عقلها وقلبها..

إنها تحبه.. نعم إنها كذلك..

لابد أن تحسم أمرها معه، غداً عندما يستيقظ ستقول له إنها تحبه..!

ولن تخجل.. وربما ستمنحه قـــُبلة هي تحتاجها أكثر منه.. نعم ستفعل ذلك..

ستتخلى عن خجلها هذا قليلاً..

لمن تحب..

نعم.. لمن تحب..

ثم ظلت تفكر فيما سيحدث غداً حتى نامت _كعادتها _ ...

* * * *

استيقظت في الصباح مبكراً قبله، ثم أضفت لمسات التجميل على ملامحها وارتدت أزهى أثوابها.. ونثرت فوقه العطر..

ثم استعدت له حتى قام من نومه وعندما رآها هكذا حتى قال: اللهم صلِ على النبي..

ابتسمت في دلال فقال هو: انتي رايحة فين النهاردة؟

_مش رايحة.

فسألها :_ أمال لابسة ليه كدا وحاطة المكياج ده ليه؟

ردت في جرأة غير معهودة:_ مفيش، ليك.

هم بالإنصراف ثم عاد ثانية بعد سماع الجملة الأخيرة قائلا والدهشة تمتلكه:_ ليا أنا ؟

_آه، فيها حاجة دي؟

ابتسم في بساطة ثم قال: لا عادي.. بس ليه فجأة كدة؟

_مفيش، أومال الهدوم دي كلها هلبسها امتى يعني، والمكياج ده كله ايه لزمته؟

_هههههه، طيب تمام.. بس انتي متأكدة انك كويسة، يعني مفيش حاجة؟

_أنا كويسة جداً، أنا عمري ما كنت كويسة زي النهاردة.

_طيب، ربنا يهدي

قالت بهدوء مستفز: يارب..

ثم قالت: استني أحضرلك الفطار.

_اتفضلي.

تناولا إفطارهما، وهو خارج عدلت له من وضع رابطة عنقه.. ثم قالت: كدا أحلى على فكرة.

ابتسم قائلاً: سبحان مغير الأحوال.

ضحكت ضحكة عالية و لم تعلق..

اتجه ناحية الباب وهو يفتحه تذكرت القبلة والإعتراف بحبها.. نادت عليه: أحمد.

توقف قائلاً والدهشة لازالت تترك فيه أثرها ونظر متسائلاً.. اتجهت نحوه وأحاطت رقبته بذراعيها وكادت تلثم شفتيه ولكن تراجعت في خجل، بذلت مجهود خرافي حتى تفعل ذلك ولكن لم تستطع.

ثم بذلت مجهود آخر حتى تخرج من بين شفتيها "بحبك" ولكن تأبى الكلمة أن تخرج..

فوجدت نفسها تقول: خلي بالك من نفسك.

فقال هو في حب: لا إله إلا الله.

فردت في خشوع: محمد رسول الله.

ثم أغلق الباب خلفه.. وهي صرخت لتسمع الجدران: بحبك.

هبط على السلم منتشياً وسعيداً بالتبدل الذي حل بها فجأة..

ثم أوقف سيارة أجرة وركب فيها وأشار للسائق بالإنطلاق سار السائق وقد كان كبيراً فى السن.. ثم رن هاتفه فرد في عصبية واضحة وقد كان ظاهراً أنه يتحدث مع زوجته ثم مع ابنته.

ثم انهى المكالمة ورمى الهاتف بجواره في توتر..

لم يسأله أحمد من باب عدم التدخل فيما لايعنيه..

وبينما يسير السائق بسيارته فاجأته ثلاث فتيات يبدو أنهن من طلبة الجامعة أو الثانوية أو ماشابه يعبرن الطريق في لامبالاة واضحة..

فصرخ السائق فيهن: ما توعوا من وشنا الهي تغوروا كلكم.

ـــايه بس ياسطى، يغوروا كلهم فين؟

ـــيقصر بأجلهم ربنا كلهم، كل النسوان اللي على الأرض يموتوا عشان نرتاح.

ـــحرام عليك يا اسطى ايه اللي بتقوله ده بس؟ واحنا نقدر نعيش من غيرهم أصلاً؟

ـــأحسن عيشة، هو في حد جايبلي الهمّ غيرهم.

ـــلم يعلق أحمد منتظره يكمل، فأكمل قائلاً: وبالذات الجيل ده.

ـــوماله الجيل دا بس؟ دا أحسن جيل.

ـــولا أحسن جيل ولا زفت.. دي البنت بنتي جايلها عريس محترم ومتربي وأخلاق ومتوظف في وظيفة عالية في الحكومة وحالته مرتاحة وبرضو مش راضية بيه، حاجة تجيب الشلل بدري.

ـــطب وهي ايه اللي مش مخليها موافقة يعني؟

ـــأنا عارف، دلع بنات بعيد عنك، أمها مدلعاها زيادة.

ابتسم أحمد وكان قد أخرج بضعة أوراق من حقيبته يطالعها، فأضاف السائق: بس مش موضوع دلع وبس.

كان أحمد في تلك اللحظة ينظر إلى الأوراق ويفكر فيما حلّ بزوجته بهذا التبدل المفاجئ في نفس الوقت الذي تتمنع عنه فيه، فسمع السائق يقول: باين عليها بتحب

واحد تاني.!

اخترقت تلك الكلمة خواطر أحمد وفرضت نفسها بين أفكاره فرفع عينيه من على الأوراق ونظر للسائق في دهشة واضحة

وقال مأخوذاً: ايه؟

فقال السائق في بساطة: أيوا باين عليها البت بتحب واحد تاني وخايفة تقول عليه.!

قال أحمد دون وعي: طب ما تسألوها.

_سألتها كذا مرة ومنشفة دماغها ومش راضية تقول، بس أنا وصلني كلام كدا إنها بتحب واحد تاني.

ردد قائلاً: بتحب واحد تاني؟

ظل يردد هذه الكلمة والسائق ينظر له مستغرباً ويتركه، حتى وصل لعمله وهبط من السيارة، وأخرج أول ورقة نقدية من جيبه وأعطاها للسائق وانصرف وكانت قيمتها كبيرة.

السائق قال: استنى خد الباقى يابيه.

نظر له وأشار له بأخذه ثم أكمل طريقه للداخل..

ابتسم الرجل مسروراً مقبلاً الورقة النقدية ثم قال: ربنا يخليك لينا .

وانطلق..

ظل أحمد على حالته تلك و لم ينجز أي شئ طيلة اليوم حتى رآه احد زملائه شارداً وقدماه على المكتب لأول مرة فتوجه ناحيته قائلاً:_ ايه يامعلم مالك؟ هو انت ابتديت سَرَحان المتجوزين من دلوقتي ولا ايه؟

فقال له دون تركيز:_ مش يمكن بتحب واحد تاني.

فضحك زميله قائلاً:_ هي مين دي يامعلم؟ انت تعبان النهاردة ولا ايه؟

لم يرد عليه وظل شارداً

فعاد زميله يقول : أحمد، أحمد.. انت تعبان ولا ايه؟

_ممكن بتحب واحد تاني فعلاً.. أومال ايه غير كدا يعني؟ في حد يتعمل معاه كل دا ويعمل كدا إلا إذا كان في حد تاني في حياته؟

_ايه اللي انت بتقوله النهاردة دا؟ أنا مش فاهم حاجة.. انت شكلك منمتش

كويس امبارح؟

لم يجبه وظل يفكر، فهزه صاحبه قائلاً: أحمد، أحمد... انت مالك النهارده في ايه؟

انتفض فجأة قائلاً: هاه؟

ثم قام فجأة وجمع أغراضه قائلاً : بص... أنا هروَّح.

_دلوقتي؟

_آه، اتخنقت، أي حد يسأل عني قوله مات..

_مُت ازاي وانت بتتكلم، ياعم ممكن تحصل مشاكل استني بس.

قال وهو يدخل أوراقه فى الحقيبة: اللي يحصل يحصل، سلام عليكم.

_براحتك، سلام.

لايعرف كيف وصل لمترله بحالته تلك.. ولكن ظل طول الطريق يفكر: فعلاً.. لابد أنها تحب شخصاً آخر.

لماذا إذن تتمنع كل هذا التمنع إلا إذا كانت تحب شخصاً آخر؟

ولكنها قالت إنها لم تحب من قبل، ربما تكون تحب شخصاً ما من طرف واحد وهو لايعلم.

ولكن لماذا اليوم تجملت هذا التجمل وتدللت هذا الدلال؟

خطرت بخاطره فكرة ولكن نفاها بسرعة مستعيذاً بالله من الشيطان ثم قال في نفسه: أنا لازم أحسم الموضوع النهارده.

دخل إلى مترله فوجدها جالسة تقلب في إحدى المجلات المصورة، لم ينطق ودخل مباشرة إلى الداخل.. فقامت مبتسمة قائلة: ايه ماقلتش سلام عليكم ليه يعني زي ما متعود؟

فقال مرغماً: سلام عليكم.

قالت متسائلة: وعليكم السلام، ايه مالك النهارده؟ مزاجك مش رايق ليه؟

نظر لها في ضيق قائلاً فى حدة: مشاكل في الشغل.

_ايه خير؟، احكيلي؟

قال بعد تحديقه فيها للحظات : حاجة مش هتفهميها.

ثم جلس على الأريكة في عصبية ثم تركها وجلس على غيرها.

فقالت: طب اهدأ كدا بس، أحضرلك الغدا؟

كانت فكرة انها تحب شخصاً آخر قد امتلكته وقد آمن بها لدرجة اليقين.

فنظر إليها نظرة يتخللها الامتعاض والحزن وقال في لهجة جافة: مليش نفس.!

_طيب أعملك شاي.

بحدة :_مش عايز.

_انت مالك النهاردة في ايه؟

بنفس الحدة :_ مفيش؟

_تحب نخرج شوية طيب عشان تهدى؟

_نخرج؟

_أيوا.

فقال بحدة :_لأ . . محبش.

ثم قام وزفر زفرة ضيق ضايقتها هي.

قالت بلهجة دامعة_انت كدا قلقتني.

فرد بلهجة ساخرة مميتة : ياشيخة.

قال بما هو أقرب للبكاء:_ مالك يا أحمد في ايه؟

قام من على الأريكة قائلاً:_ مريم.

قامت من مكانها في بطء مترقبة وضربات قلبها يرتجّ الكون: نعم؟

مرت عليها لحظات صمت كدهور، ظل فيها يتفرس ملامحها ومشاعره متناقضة ومتداخلة حتى سألها وقد كان القلق قد بلغ بها مبلغه: انتي بتحبي حد؟

_طبعاً..

لم يسمع غير تلك الكلمة وتصاعد الدم إلى رأسه وغلي صدره بالنيران.

لم يسمعها وهي تكمل: بحبك انت.

فقال وبداخله بركان: طيب احنا هنتطلق.

_ بحبك انت.

لم يسمعها فظلت تردد فى هيستيرية: بحبك، أنا بحبك انت.

وقال هو: هنتطلق .

انهارت ودموعها كأنها تنبع من نهر.!

نظر إليها نظرة أخيرة وبداخله مشاعر مختلطة تجاهها، فقال في عصبية بالغة:

ـــبتعيطي ليه؟ مش انتي عايزة كدا؟

كان الغضب يعصف به فلم يسمعها وهي تقول: والله أنا بحبك، بحبك انت،مقدرش أعيش من غيرك.

تركها والبركان الذي بداخله لايهدأ..

رمى نفسه على السرير وترك دمعة تسقط على الوسادة تبللها ونام وعيناه مفتوحتان.

بينما هي ظلت تبكي في حرقة لامثيل لها، وهي تردد: بحبك بحبك...

ظلت هكذا حتى المساء...

هو لم يقم وهي لاتكف عن البكاء والترديد بحبك.

في المساء.. قررت أن تدافع عن حبها.. تعلم يقيناً أنه يحبها.. ولكن ربما تصرفاتها قد أوحت له بأنها تحب غيره.

جففت دموعها وجلست ساعة أو ساعتين حتى هدأت تماماً وكان هو قد خمد البركان بداخله مؤقتاً..

دخلت إليه الحجرة فوجدته نائماً وواضعاً الوسادة فوقه.

أزاحتها برفق ثم سحبته من ذراعها ففتح عينيه.. وهم بقول شئ.. فوضعت أصبعها عليه طالبة منه الصمت فسكت مبتسماً دون إرادة.

ثم لثمت شفتيه بقبلة أراحته.

وأراحتها.

فهم بقول شئ آخر فقالت: بحبك.

مدهوشاً: ايه؟

ـــ بحبك، بحبك، بحبك.. ولا يمكن استغنى عنك أبداً، ولا يمكن أضيعك من ايديا.

نظر إلى السقف في دهشة، ونظرت هي إليه متعجبة ولا تدري كيف فعلت هذا، ظن أنه يحلم فنام ثانية لعله يكمل الحلم.

أيقظته ثانية: انت ياعم.

قام قائلاً: ايه؟

_يلا عشان ندخل.

_ندخل؟ ندخل فين؟

فضحكت قائلة: النهاردة عقبال عندك ليلة دخلتنا.

ضحك بدوره قائلاً: بحبك.

ثم قبلها قبلة لا أشهى منها.. وكانت تلك الليلة بحق..

ليلة الدخلة.

* * * * *

** تـــــمـــــت بـــحـــــمـــد الله **

شكر خاص لكل فريق عمل مجلة دقة جديدة

www.daqahgadidah.com

الغلاف : مى مجدى